الطبعة الأولي

١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م



دار المقتطف للنشر و التوزيع

الرياض المملكة العربية السعودية

الرياض– خميس مشيط

جوال : ٠٥٥٧٧٥١١٠٠

تليفاكس: ٠٧/٢٢٢١١٠٠

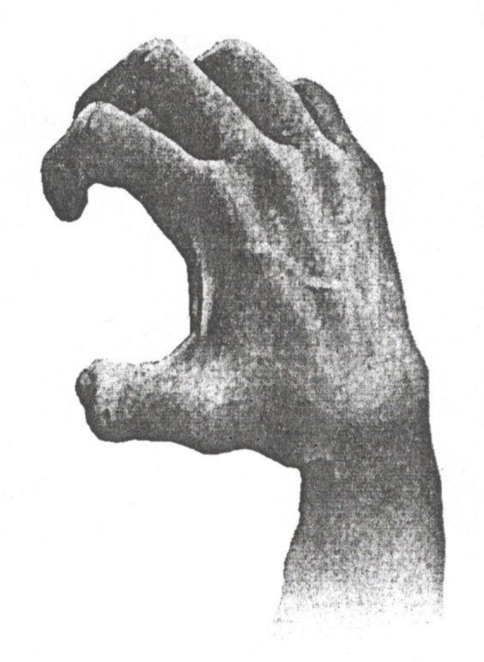
ص.ب ٣٨٠٩٨٠ – الرياض ١١٣٤٥

E.M:ALMOKTATAF@HOTMAIL.COM

قال رسول الله ﷺ: ﴿الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة﴾ متفق عليه

٤

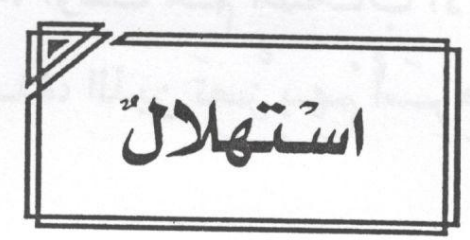
لماذا الخوف؟



تأليف

أبي المنذر خليل بن إبراهيم أمين

بسم الله الرحمن الرحيم



اسْتهلالٌ

الْحَمدُ لله وَحْدَهُ، والصَّلاة والسَّلام علىٰ مَنْ لاَ نبي بعده، وبعد:

فأكْتُبُ هَذه الكلمات ويملَؤني التفاؤل، ويَحْدُوني الأمل، وكُلِي ثِقَةٌ بِأنَّ الفَرجَ قريبٌ..

- فمَا طالَ ليلٌ حَالكٌ إلاَّ وأَعْقَبَهُ ضَوء الفجر
- وَمَا اشتد ضيقٌ إلاَّ ومعهُ السَّعةُ
- وَما تعاقبَ بلاءٌ إلاَّ وقرينَهُ العافية
- وَمَا عَظُمت شدَةٌ إلاَّ وبيدها اليُسر

فَثقوا، وأَبْشرُوا، وأَمِّلوا، ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴿٦﴾ ﴾ [الشرح: ٥، ٦]، ولَنْ يغلب عُسر يُسْرين.

فالله - تباركَ وتعالىٰ - بمنه وكرمه ولطفه، يُهيئُ - في أحلكِ الساعاتِ - رجالاً عِظَاماً يُقَدِرُون المَسْؤولية،

ويَحْـمِلُونَ الأَمانة، أُولئكَ هُـمْ أصحـاب الأعمـال الناجحـة، والحيـاة السعـيدة، الذين تَعِزُّ بِهِمْ أُسَرِهِمْ، وتَسْمُو بِهِمْ أوطانهم.

وإذَا كانَ هُنَاكَ منَ الرِّجال مَنْ يَعْدلُ أَلفَ رَجُل، فهُنَاكَ - علىَ النَّقيض - مَنْ هُوَ فِي ميزانِ الرِّجال لاَ يَعْدلُ جَنَاحَ بَعُوضة، والنَّاس كَمَا قالَ النبيُّ ﷺ: (كَالإبلِ المائة لاَ تكادُ تَجِدُ فِيهَا راحلةٌ)[1].

كُلُّ مَا أُريدَهُ منْكَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ كلمات هَذه الرِّسَالة، أَنْ تَنسىَ أَنَّكَ تقرأُ كتاباً بُغْيَتُكَ أَنْ تَنْتَهِيَ مِنْهُ ثُمَّ تَضَعَهُ بَعْدَ قليل، وَلكنْ أُريدُ منْكَ أَنْ تَقف مع نَفْسك، وتَنْظُرُ فِي ذَاتك، وتُفَتِّشُ فِي أَعْمَاقك، أُريدُ منْكَ أَنْ تقْرَأَ لتَعْمَلَ، وتَعْمَلُ لتَتَحَولُ، فَهَذه (الجُرعَات النَّفْسية) الَّتي بَيْنَ يدَيْكَ تأْخُذُ بِيَدكَ لِتَضعَكَ فِي مَصَافِّ عُظَمَاءِ الرِّجال.

خليل إبراهيم

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري رقم (٦١٣٣) ٥/ ٢٣٨٣، وصحيح مسلم رقم (٢٥٤٧) ٤/ ١٩٧٣.

مدخل

وعلى طريق إعداد الرجال نعالج موضوع الخوف فماذا فعل بنا الخوف؟ وما الذي جناه علينا؟!!

لقد ترك الخوف في النفوس علامات فارقة، وعلى الوجوه بصمات واضحة، مع أن الكثير من الخوف الذي نشعر به هو خوف من الوهم ضَخَّمَه الشيطان وغذاه الكسل، إنه يشبه خوف الأسد من الحمار الذي نقلته لنا كتب الأدب.

فتزعم العرب: أن الأسد رأى الحمار، فرأى شدة حوافره، وعِظم أذنيه، وكِبر أسنانه، وطول ساقيه، واتساع بطنه؛ فهابه وخاف منه، وقال في نفسه: إن هذه الدابة خلقها عظيم منكر، وإنه خليق به أن يغلبني، فلو زرته ونظرت ما عنده، ثم دنا منه رويداً رويداً وقال له: ياحمار، أرأيت أسنانك العظيمة هذه لأي شيء هي؟ قال الحمار: للحنظل وجرش الفول، فقال الأسد: قد أمنت أسنانه، ثم قال له: أرأيت أذناك الطويلتين المنكرتين لأي شئٍ هما؟ فقال الحمار: لأطرد بهما

الذباب، فقال الأسد: قد أمنت رأسه، ثم قال له: أرأيت حوافرك المنكرة هذه لأي شيء هي؟ قال الحمار: لأطأ بها الأكم، فقال الأسد: قد أمنت حوافره، ثم قال له: أرأيت سيقانك الطويلة هذه لأي شيء هي؟ فقال الحمار: لأعدو بها وقت الهرب، وهنا توقف الأسد ولم يسرد باقي أسئلته وعلم أن الحمار لا غناء عنده، فوثب عليه وبقر بطنه وافترسه.

إن هذه القصة ترسم لنا بوضوح شديد صورة متناهية في الدقة لحال الكثير منا مع الخوف، وتبين لنا أن كثيراً من الخوف الذي ينتابنا هو خوف من الوهم الذي لا حقيقة له في عالم الواقع، فالجميع يعلم أن الأمر كله لله، ومنه، وبيده، فالرزق مقسوم، والأجل محتوم، وأن ما أخطأ لا يصيب، وأن سهم المنية لكل أحد نافذ فكل نفس ذائقة الموت، وأن ما قُدِرَ أزلاً لا يُخشى فيه الفوْت...

إذاً لماذا كل هذا الخوف ؟

سؤال انتظرنا عليه الإجابة طويلاً في زمن الخوف، ولعلك تجد الإجابة عليه في ثنايا هذه الكلمات.....

❁ ❁ ❁

تعريفُ الخوف

اختلفَ العُلماء - رَحِمهم الله - في تعريف الخوف مَعَ اتفاقهم على المعنى، فجاء في القاموس: الخوف: هو انفعالٌ في النفس يحدثُ لتوقع ما يرد مِنَ المكروه أو يفوت من المحبوب، فَيُقَالُ: خافَ علىَ كذا، وخاف من كذا، وخاف عليه[١].

وقال الغزالي: الخوف: تألُم القلب واحتراقه بسبب توقُع مكروه في المستقبل[٢].

وقال الكفوي: الخوف: غمٌّ يلحق لتوقع المكروه، وكذا الهَمُّ، وأمَّا الحُزن فهو غَمٌّ يَلْحِقُ من فوات نافعٍ أو حُصُولِ ضارٍ[٣].

وقالَ ابنُ القيِم: الخوفُ هُوَ هُروب القلب مِنْ حُلول المَكْروه عندَ استشعاره[٤]، ويأتي الخوف في مَعْرِضِ الكلام

---

(١) القاموس المحيط، مادة الخوف ص (٢٦٢).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ٣/.

(٣) الكليات ص (٤٢٨).

(٤) مدارج السالكين ١/ ٥٤٣.

عنهُ علىَ عدةِ أسْمَاءٍ تَحْمِلُ في طيْاتها مَعَانيَ كثيرةٍ:

أسْمَاءُ الخَوْف:

أ - الجُبن: وهوَ مِنْ أبرز أسماء الخوف علىَ الإطلاق، والجَبَان ضد الشجاع، وهو تهَيّب الإقدام علىَ مالاَ ينبغي أنْ يُخاف منه[١].

ب - الخشيَّةُ: قالَ في اللسان: خَشِيَ الرَّجُلَ، ويَخْشَىَ خَشْيَةً، أيْ: خَاف، وَخَشَاهُ: خَافَهُ[٢].

ج - الفَزَعُ: تقول: خاف من كذا، فَزِعَ، وأخافهُ الأمر: فزع منه[٣].

د - الرُّعبُ: وهو خوفٌ مَصحوبٌ بِفَزَعٍ، قال في القاموس: رَعُبَ رُعْبَاً: خاف وفزع، وأرعبه: خَوَّفَهُ وأفزعه[٤]. ومثله: (الوجل).

---

(١) القاموس المحيط.

(٢) لسان العرب ١٤/٢٢٨ والقاموس المحيط.

(٣) القاموس المحيط (٢٠٤).

(٤) القاموس المحيط (٣٥٤).

هـ - الرِّعديد: وهو اضطراب الجبان وارتعاده عند القتال وغيره جبناً(١).

قال ابن القيم - رحمه الله -: والوجل، والخشية، والرهبة، ألفاظ متقاربة غير مترادفة(٢). والخوف محله القلب كما أن الشجاعة محلها القلب أيضا.

❁ ❁ ❁

أقسام الخوف

وينقسم الخوف إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

الأول: الخوف المحمود: وفيه أقسام:

١ - خوف السر: وهو خوف التألُه والتعبُد والتقرُب وهو الذي يزجر صاحبه عن معصية من يخافه خشيةً مِن أنْ يُصيبه بما شاء من فقرٍ، أو قتلٍ، أو غضب، أو سلب نعمة، ونحو

---

(١) القاموس المحيط (١٠١٤).

(٢) انظر مدارج السالكين، لابن القيم ١/ ٥٤٩.

ذلك بقدرته ومشيئته. فهذا القسم لا يجوز أن يُصرف إلاَّ لله - عز وجل - وصرفه له يعد من أجلّ العبادات ومن أعظم واجبات القلب، بل هو ركن من أركان العبادة، ومن خشي الله على هذا الوجه فهو مُخلص موحد، ومن صرفه لغير الله فقد أشرك شركاً أكبر؛ إذْ جعلَ لله نداً في الخوف، وذلك كحال المشركين الذين يعتقدون في آلهتهم ذلك الاعتقاد، ولهذا يخوِّفون بها أولياء الرحمن كما قال قوم هود عليه السلام الذين ذكر الله عنهم أنَّهم خوَّفوا هوداً بآلهتهم فقالوا: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ [هود: ٥٤]، وكحال عُبَّاد القبور، فإنَّهم يخافون أصحاب القبور من الصالحين بل من الطواغيت كما يخافون الله بل أشد، ولهذا إذا توجهت على أحدهم اليمين بالله أقسم بما شاء من الأيمان صادقاً أو كاذباً، فإذا كانت اليمين بصاحب التربة لم يقدم على اليمين إن كان كاذباً، وما ذاك إلاَّ لأنَّ المدفون في التراب أخوف عنده من الله. وكذا إذا أصاب أحداً منهم ظُلم لم يطلب كشفه إلاَّ من المدفونين في التراب، وإذا أرادَ أحدهم أنْ يظلم أحداً فاستعاذ المظلوم بالله لم يعذه، ولو استعاذ بصاحب التُربة أو بتربته لم يقدم عليه بشيء ولم يتعرض له بالأذى.

٢ - الخوف من وعيد الله: وهذا هو القسم الثاني من أقسام الخوف المحمود، وهو الخوف من الوعيد الذي توعد الله به العصاة من خلقه وهذا من أعلى مراتب الإيمان وهو درجات ومقامات وأقسام.

القسم الثاني: الخوف المذموم:

١ - خوف منهي عنه: وهو أن يترك الإنسان ما يجب عليه شرعاً كالجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا لخوف الناس، وكحال من يفر من الزحف خوفاً من لقاء العدو فهذا خوف محرم ولكنه لا يصل إلى الشرك.

٢- الخوف الوهمي : كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً أو له سبب ضعيف جداً فهذا خوف مذموم و يدخل صاحبه في وصف الجبناء وقد تعوذ النبي ﷺ من الجبن لأنه من الأخلاق الرذيلة، ولهذا كان الإيمان التام والتوكل الصحيح أعظم ما يدفع هذا النوع من الخوف ويملأ القلب شجاعة، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه الخوف من غير الله، وكلما ضعف إيمانه زاد وقوي خوفه من غير الله، ولهذا فإن خواص المؤمنين وأقوياءهم تنقلب المخاوف في حقهم أمناً

وطمأنينة لقوة إيمانهم و لسلامة يقينهم وكمال توكلهم ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

القسم الثالث: الخوف المباح:

هو الخوف الطبيعي: ومنه ما يُذم ويُحمد، فالمحمود كالخوف من سَبُع أو عدو أو هدم أو غرق و نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري فهذا لا يُذم وهو الذي ذكره الله عن موسى عليه السلام في قوله - عز وجل -: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ٢١]، وقوله: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ [طه: ٦٧]، ويدخل في هذا القسم الخوف الذي يسبق لقاء العدو أو يسبق إلقاء الخطب في بداية الأمر؛ فهذا خوف طبيعي و يُحمد إذا حمل صاحبه على أخذ الأهبة و الاستعداد و يُذم إذا رجع به إلى الانهزام وترك الإقدام.

أحكام الخوف من حيث أقسامه: وينقسم الخوف إلى عدة أقسام منها:

الأول: شرك أكبر: كأن يخاف الإنسان من الأصنام، أو من أصحاب القبور، أو من الأشجار، أو الأحجار، أو الجن،

أو غيرهم من الغائبين أن يفعلوا به ما يضره؛ لاعتقاده أنهم يستطيعون ذلك بغير أسباب حسية، بل بقدرتهم الخاصة، فهذا هو الشرك الأكبر.

الثاني: ما هو بمعصية وليس بشرك: كأن يخاف من الأعداء أو بعض الأقارب أو غيرهم أن يفعلوا ما يستطيعون به من الضرر، وهم أحياء قادرون فيحمله ذلك على فعل بعض المعاصي، أو ترك بعض الواجبات من أجل ذلك. وفي هذا القسم نزلت الآية الكريمة المذكورة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥] لأن معناها: أن الله - سبحانه وتعالى - نهاهم عن الخوف من المشركين خوفاً يحملهم على ترك الجهاد الواجب.

الثالث: جائز، وهو الذي يحمل صاحبه للأخذ بالأسباب التي شرعها الله لاتقاء الخطر.

الرابع: مندوب إليه، بل هو من أعلى درجات الإيمان وهو الخوف من الله - عز وجل -.

❁ ❁ ❁

مظاهر الخوف على الخائف

مِنَ السهل جداً أنَّ تتعرف على الشخص في حال خوفه عنه في حال سعادته، فبينما يستطيع الكثير من الناس إخفاء مشاعرهم السعيدة؛ إلا أن الكثير - فيما ندر - لا يستطيعون إخفاء مشاعر الخوف الذي ينتابهم إذا ما داخل الخوف قلوبهم.

فالخوف تبدو بوادره الأولى على الجوارح ثم تنعكس على التصرفات، فالنظرات تزيغ، والوجه يمتقع، والفرائص ترتعد، والكلام يتلعثم، وقد يحدُث الدهش في الكلام، كما قال أحدهم حال خوفه: أطعموني ماء، وقال الآخر: أصغوا لي بأفواهكم، ثم يحدث التكأكؤ والنكوص.

تفصيل أقسام الخوف

القسم الأول: الخوف الطبيعي: وهو إحساس بالخطر يلحظه الآخرون، ويأتي كرد فعل طبيعي لخطر أو تهديد حقيقي، وعكسه: غير الطبيعي (المَرَضي).

والشعور بالخوف في مواطن الخطر الحقيقية شيء طبيعي، بل مفيد في أحايين كثيرة، بل قد يكون الشخص غير طبيعيٍ إذا لم يداهمه هذا الشعور، فعلى سبيل المثال لا يُلام المرء على خوفه من السبع ومن النار ومن الكهرباء ومن تهديد الظالم، فهذا وأمثاله من الخوف الطبيعي الذي لا يُلام المرء عليه، وأظهر مثال له ما ورد عن خوف نبي الله موسى وأخاه هارون على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام فيما قصه الله - تبارك وتعالى - عنهم بقوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [طه: ٤٥].

قال أهل التفسير: خاف أن يعجل ويبادر بعقوبتهما، فيعتدي عليهما، وهما لا يستحقان منه ذلك"[١].

لكن الذي ينبغي التفطن إليه أن هذا الخوف الطبيعي الذي أبداه كليم الله موسى عليه السلام من الطاغية فرعون الجبار لم يقعد به عن بلاغ رسالة ربه، فقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - أن موسى وهارون خرجا فوقفا بباب فرعون يلتمسان الإذن

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٠٨، وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٥٢٥.

عليه، وهما يقولان: «إِنَّا رسولاَ رب العالمين، فآذنوا بنا هذا الرجل، فمكثا فيما بلغني سنتين يغدوان ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه، فقال له: أيها الملك، إن على بابك رجلاً يقول قولاً عجيباً، يزعم أن له إلهاً غيرك، وفي رواية: أن موسى عليه السلام ضرب باب القصر ضربة سمعها فرعون»[١].

شيءٌ من الخوف لابد منه لكل أحد:

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) ﴾ [البقرة: ١٥٥]، ففي هذه الآية الكريمة يُخبر الله - جلَّ جلاله - أن الخوف هو أحد المحن والبلايا والتي يبتلي الله بها من يشاء من عباده.

الحكمة من حصول هذا الخوف:

١ - الابتلاء لتمييز الصادق من الكاذب: قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: «لابد أن يبتلي عباده بالمحن؛ ليتبين الصادق من

---

(١) انظر المصدر السابق.

الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنة الله - تعالىٰ - في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة لحصل الإختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر»[(١)]، وقد حصل هذا التمايز حينما اشتد الخوف بالصحابة رضي الله عنهم حينما تحزب الأحزاب من أهل مكة والحجاز وجموع قبائل العرب عليهم فيما وصفه الله - تبارك وتعالىٰ - في قوله:﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ۝١١﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]، فماذا كانت نتيجة هذا الخوف والزلزال الشديد؟

النتيجة أن تبين المؤمن الصادق من الدعيّ الكاذب المُضْمِر للنفاق، قال - تعالىٰ - عقب هذه الآية مباشرة: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص (٦٢).

غُرُوراً ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٢]، قال الشيخ السعدي: «وهذه عادة المنافق عند الشدة والمحنة لا يثبت له إيمانه»[١]، وقد ظهرت هذه الحكمة أيضاً في غزوة أُحُد حينما أصاب الخوف والجراح جمعاً كبيراً من الصحابة رضي الله عنهم، قال - تعالى -: ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، قال ابن كثير: «أي: يختبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب ويظهر أمر المؤمن من المنافق»[٢].

٢- زجر أهل الشهوات وقمع المجرمين من التعدي على حدود الله: قال - تعالى -: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور: ٢]، فالحكمة من شهود هذه الطائفة إقامة هذا الحد هو حصول الردع والانزجار بالخوف الحاصل من العقوبة والتشهير.

٣- حفظ الضرورات الخمس: ولولا هذا الخوف لما حصلت الحكمة من حدِّ الحدود لحفظ الضرورات الخمس وهي:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، (٧١٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٤٢٧.

الدين والعرض والعقل والنفس والمال

٤- التوبة والاستقامة على الجادة: ولولا حصول هذا الخوف أيضا لما كان لتخويف الله بالنار في كتابه أي معنى، ولَمَا تاب العاصي وانقمع، ولَمَا استقام المنحرف ورجع، وهذا من أجلِّ حكمة تكرار ذكْر الجنة والنار في القرآن الكريم.

٥- الإقدام والإحجام: ولولا هذا القدر من الخوف أيضاً لثبت المرء في مواضع الإحجام التي يكون فيها حتفه وهلاكه.

ضوبط في الخوف الطبيعي:

١- شيء من الخوف لا بد منه للعبد ابتلاءً من الله وامتحاناً.

٢- للابتلاء بالخوف حكم كثيرة منها: التمحيص والاختبار، والزجر والتخويف.

٣- العبد مطالب بالصبر والتحمل عند الابتلاء بالخوف.

٤- في الصبر على الابتلاء بالخوف العاقبة الحميدة والثواب الجزيل.

٥- لهذا الخوف فوائد منه:

- إنابة العبد ورجوعه إلى الله كما قال أحد السلف: كل شيء خفت منه هربت منه إلا الله إذا خفت منه هربت إليه.
- حفظ الضرورات الخمس، والتي بها يعم الأمن في المجتمع.
- الإقدام في موضع الإقدام والإحجام في موضع الإحجام.

غير أن الخوف الطبيعي الغريزي إذا تعدى طوره وزاد عن حده نما وترعرع في النفس شيئاً فشيئاً حتى يُصبح جُبناً، فيخشى صاحبه المواجهة في الحق، ويخشى الوحدة، ويخشى المطالبة بحقوقه، حتى يصبح يخاف مما لا يُخاف منه في الغالب، فلا يقوى على ذبح شاة أو دجاجة، ولا يجرؤ على إقامة حد، ولو سُئل عن سبب ذلك لأجاب بأنها رحمة، ونسي المسكين أن رسول الله ﷺ ذَبَح في موضع واحد ثلاثاً وستين بدنة بيده، وأقام الحد، ورجم بالحجارة حتى الموت، وضرب الأعناق في سبيل الله، هذا وهو أرحم الخلق على الإطلاق وصف - تبارك وتعالى - رحمته تلك بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، فينبغي على

المرء أن يبادر باستئصال دواعي الخوف من نفسه، قبل أن ينمو ويُصبح جبناً مرذولاً مبغوضاً ممقوتاً.

القسم الثاني: الخوف غير الطبيعي (المَرَضي).

وهو إحساس بالخطر يلحظه الآخرون ويأتي كرد فعل غير طبيعي لخطر غير حقيقي.

وهذا النوع من الخوف يعتبر «مرضاً خالصاً» كأمراض القلب والكبد والكلى وغيرها، ولابد من المبادرة بعلاجه وحسم مادته قبل أن يقعد بالمرء في زاوية من النكوص والإهمال والتردي، ويحجبه عن كثير من الفضائل والمحامد ومكارم الأخلاق، ويمنعه عن كثير من الواجبات المُتحتمات عليه: كطلب العلم الواجب، والسعي على الرزق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع عن الحق، وقمع أهل الباطل، والدفاع عن المظلوم وغيرها من الوجبات.

أما أهل الطب فقالوا عنه: «إنه خوف دائم من وضع أو موضوع - (شخص أو شيء أو موقف او فعل أو مكان) - غير مخيف بطبعه، ولا يستند إلى أي أساس من الواقع، ولا

يمكن ضبطه أو التخلص منه، أو السيطرة عليه»[١].

مستويات الخوف

ويقسم علماء النفس الخوف إلى مستويات ثلاثة هي:

المستوى الأول: خوف ظاهر، وينقسم إلى قسمين هما:

أ - الخوف الذي يحدث بدون تدخل منا.

ب- الخوف الذي يحدث ويتطلب تدخل منا.

المستوى الثاني: خوف داخلي، ومخاوف هذا المستوي تتصل بالحالة الذهنية الداخلية وليس للمواقف الخارجية أي تدخل فيها، وهذا المستوي من الخوف يعكس الإحساس بالذات والقدرة على التعامل مع الناس، وهذا يفسر حدوث الخوف العام، فإذا كنت خائفاً من أن يرفضك الآخرون، فإن هذا الخوف سيؤثر على جميع نواحي حياتك تقريباً، في عملك وعلاقاتك العامة، ونتيجة لذلك فأنت تبدأ في الانغلاق على ذاتك ورفض التواصل مع العالم من حولك.

---

(١) الصحة النفسية / الدكتور/ حامد زهران ص (٤١٧).

المستوى الثالث: وهو أكبر من جميع المخاوف على الإطلاق، وهو العقبة الأولى التي تعترض طريق سير المرء الناجح في الحياة، وتتلخص جميعها في هذه العبارة:

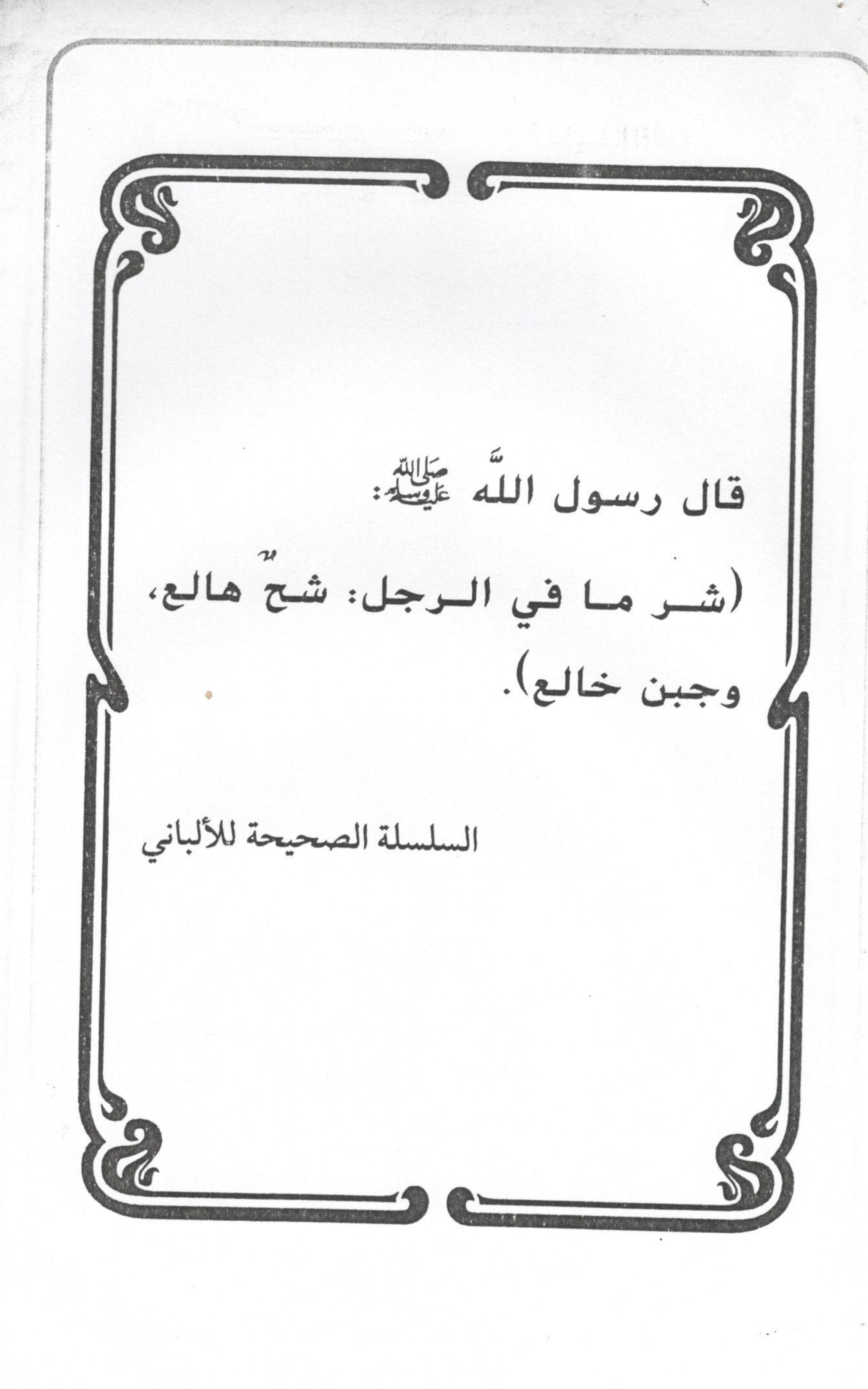
لا أستطيع التغلب على....... !!

نعم! هذا هو أساس كل المخاوف، فقدان الثقة في القدرة على مواجهة الحياة وبالإمكان ترجمتها إلى ما يلي:

- لا أستطيع مواجهة الغد
- لا أستطيع مواجهة الوقوع في الخطأ
- لا أستطيع مواجهة الإحراج من الآخرين
- لا أستطيع مواجهة خبر مزعج
- لا أستطيع مواجهة المرض
- لا أستطيع مواجهة عدم الحصول على وظيفة
- لا أستطيع مواجهة الرسوب والفشل

هي تتلخص ببساطة في كلمة واحدة: لا أستطيع

إن خطورة هذا النوع من الخوف أنها تصل بالمرء إلى أخطر المراحل وهي : الجبن الخالع الذي يقعد بالمرء في زاوية من النكوص والفشل في الحياة، فما هو الجبن؟



قال رسول الله ﷺ:

(شر ما في الرجل: شحٌّ هالع، وجبن خالع).

السلسلة الصحيحة للألباني

الجُبْنُ الخَالع

الجبن: هو تهيُب الإقدام على ما لا ينبغي أنْ يُخاف منه[١]، فالجبان من الرجال: هو الذي يهاب التقدُم على كل شيءٍ ليلاً كان أو نهاراً[٢].

إذا عرفتَ هذا، كانت هذه المعرفة كفيلة بإشباع مشاعرك بالتوقف فوراً عن تقبل جميع الأفكار السلبيّة الجالبة للخوف، والتي تقوم بشلِّ حركتك في الحياة، وإحلال أفكاراً إيجابية شجاعة محلها، تجعل منك أكثر ثقة بنفسك وقدراتك، ولو وقفت على ما ورد في ذَمِّ الجبن في الكتاب والسنة وأخبار العرب لكان ذلك مدعاةً لكَ بأنْ تتوقف فوراً عن تسميم ذاتك بهذه الأفكار السلبية وإليك البيان.

ذمّ الجُبْن:

جاءَ الكتاب الكريم والسنّة النبوية المُطهرة بِذمِّ الجُبن،

---

(١) المعجم الوسيط ص (١٠٦).

(٢) لسان العرب، ابن منظور ١٣/ ٨٤.

فقد جَبَلَ الله قُلوب الخلق على بُغْض الجُبن والنَّفَرة من الجَبان، ومِنْ أخبارِ العرب أنَّهم كانوا إذا أرادوا المدح مدحوا بالشجاعة والكرم، وإذا أرادوا الذمَّ ذموا بالجُبن والبُخل وفي النِقاط التالية ما يُوضِحُ ذلكَ الأمرَ ويُجَليه:

١ - أنَّ جُبْن الجبان لَنْ يُقدم ولا يُؤخر من أجَلِه شيئاً: وقد أكْذَبَ الله - تبارك وتعالى - أطماع الجُبناء علىَ ظَنِّهم أنَّ الجُبن يُنجيهم من الموت أو القتل فقال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٦﴾﴾ [الأحزاب: ١٦]، قال ابن كثير: «إن فرارهم لا يؤخر آجالهم، ولا يطول أعمارهم، بل ربما كان ذلك سبباً في تعجيل أخذهم غرةً، ولهذا قال: ﴿وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾، أي: بعد هربكم وفراركم [١]».

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.

﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

[آل عمران: ١٦٨ – ١٧٠].

وذم – تبارك وتعالى – من يجبن ويخاف العدو ويقعد عن الجهاد فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧٧﴾ ﴾ [النساء: ٧٧]، وفي الكلام عن هذا الفريق ثلاثة أقوال:

الأول: أنَّهم مُنافقون.

الثاني: أنهم نَافقوا لمَّا كُتِبَ عليهم القتال.

الثالث: أنَّهم حصَلَ منهم جُبْنٌ وخور.

وكُلها أوابدٌ آخِذٌ بعضها برقابِ بعض.

٢– قدْ نهانا اللّه – تبارك وتعالى – عن ضعف القلب بقوله: ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ومعلوم أنَّ واهِنَ البدن معذورٌ في الأصل في

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧]، فعُلِمَ أن الوهن المنهي عنه هو وهن القلب.

٣- أخبرَ النبي ﷺ بأنَّ الجُبن هو شر ما في الرجل فقال: (شر ما في الرَّجُل شحٌ هَالعٌ، وجبنٌ خَالعٌ)[١]، وكان ﷺ يستعيذ من الجُبن كما جاء في حديث أنس المشهور وفيه يقول ﷺ: (وأعُوذُ بكَ منَ الجُبن والبُخل)، ونهى كذلك عن العجز بقوله: «ولا تَعْجَزْ» ونفى ﷺ الجبن عن نفسه حين تعلَّق به بعض الأعراب عند رجوعه من غزوة حنين يسألونه العطاء فقال لهم: (أعْطُوني رِدَائِي لَوْ كَانَ لِيَ عدد هذه العضاة نعَماً لقسمته بينكم ثُمَّ لا تجدوني بَخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً)[٢].

---

(١) مسند الشهاب، رقم (١٣٣٨) ج (٢) ص (٢٧٠)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح البخاري رقم (٢٦٦٦) ٣ / ١٠٣٨ ، ورقم (٢٩٧٩) ٣/ ١١٤٧.

٤ - الجُبُن يؤخر صاحبه وإن كان صالحاً: قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: (القوة في إمارة الحرب ترجع إلىٰ شجاعة القلب...فيُقَدَم في إمارة الحرب الرجل القوي الشجاع وإن كان فيه فجور علىٰ الرجل الضعيف العاجز وإن كان صالحاً، كما سُئِلَ الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين، أحدهما: قويٌ فاجر، والآخر: صالح ضعيف، مع أيهما يُغزي؟ فقال: أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين وفجوره علىٰ نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه علىٰ المسلمين، فيُغزىٰ مع القوي الفاجر، وقد قال النبي ﷺ: **(إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر)** أ.هـ

وبسبب جُبُن بني إسرائيل وخوفهم من لقاء عدوهم وقولهم لنبيهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤] ضرب الله عليهم التيه في الأرض أربعين سنة، لا يهبطون قرية ولا مِصراً، ولا يهتدون إلىٰ الأرض المقدسة، ولا يشربون إلا من ماء الأطوار عقوبة عليهم بسبب خوفهم وجبنهم.

٥- الجُبن هو أول طريق الهزيمة وانكسار الشوكة: ولم يُرخص الفقهاء في المبارزة إذا دَعَا إليها الكافر إلاَّ للشُجاع الفاتك الذي يُعرف منه القوة والشجاعة، فإن كان لا يثق فيه بشجاعته كُره له أن يجيب للمبارزة؛ لِمَا فيه من كسر قلوب المسلمين بقتله ظاهراً، بل يُباح للشجاع أن يطلبها ابتداءً لأنه غالبٌ بحكم الظاهر، كما وقع ذلك من بعض الصحابة ﭬ .

٦- لا يَزال الجُبن بالمرء حتى يُصبح مُعوقاً فكرياً واجتماعياً: ولا يُنظر إليْه إلاَّ من باب الرِّثاء لحاله والشفقة عليه، أي أن يُصبح من سَقط متاع المجتمع، وما أجمل قول قطري بن الفجأة:

أَقُولُ لها وقد طارت شُعاعاً	من الأبطال ويْحَكِ لن تُراعي
فإنَّكِ لَوْ سألتي بقاء يومٍ	على الأجل الذي لك لنْ تُطَاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً	فما نيل الخُلود بمُسْتطاع
وما ثوب الحياة بثوب عزٍ	فيُطوي عن أخي المَنْع اليراع
سبل الموت غاية كل حي	وداعيه لأهل الأرض داع
ومن لم يغتبط يسأم ويهرم	وتُسْلِمه المَنُون إلى انقطاع
وما للمرء خيرٌ في حياةٍ	إذا ما عُدَ من سقط المتاع

٧- بَالغت العربُ في ذَمّ الجُبن، وهجاء الجُبناء في قصصهم وأشعارهم:

وذلك تنفيراً من الجُبن، وحملاً لصاحبه علىَ التحلِّي بأخلاق الشُجعان، فمن مشهور قولهم: «أمُّ الجبان لا تفرح ولا تحزن».

قالوا: لأنَّه لا يأتي بِخير ولا بِشر أينما توجه لِجُبْنه

ومن أقوالهم: «عَصَا الجبان أطول».

قال أبو عبيد: أحسَبه يفعلُ ذلك من فَشَله يرىٰ أن طُولها أشدُّ ترهيباً لعدوه من قِصرها.

ولمْ ينس التاريخ - كما هي عادته - أن يُسَطر لنا شيئاً من قصص الجبناء التي تدعو إلىٰ الرِّثاء وإليكَ طرفٌ من أخبارهم.

مِنْ أخبارِ الجُبناء:

١ - عُروة بن مرثد (أبو الأغَر) قالوا عنه:

كانَ بالبصرةِ شيخٌ مِنْ بني نهشل يُقالُ له عُروة بن مرثد ويُكنىٰ أبا الأغر ينزل ببني أخت له في سكّة بني مازن، وبنو أخته من قُريشَ، فخرج رجالهم إلىٰ ضِياعهم في شهر رمضان، وخرج النساء يُصَلِين في مسجدهم فلما يبقَ في الدار

إلا الإماء فدخل كلبٌ يعشُّ فرأي بيتاً فدخله وانصفق الباب، فسَمِعَ الحركة بعض الإماء فظنوا أنَّ لِصَاً دخل الدار فذهبت إحداهُنَّ إلى أبي الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يبتغي اللص ؟ ثم أخذ عصاه وجاء، فوقف على باب البيت وقال: إيه، يا ملأمان(١)، أما والله أنَّكَ بي لعارف، فهل أنت إلاَّ من لُصوص بني مازن، شربت حامضاً خبيثاً حتى إذا دارت القدوح في رأسك مَنَّتْكَ نفسك وقلت أدخل ديار بني عمرو والرجال خُلوف والنساء يُصَلِين في مسجدهم فأسرقهم ؟ سوءةً لَكَ، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وأيم الله، لتخرجن أو لأهتفنَّ هتفةً مشؤومة يلتقي فيها الحيّان عمرو وحنظلة، وتجئ سعد بعدد الحصى، وتسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا، ولئنْ فعلتَ لتكونَنَّ أشأم مولود. فلما رأى أنه لا يُجيبهُ أحدٌ أخذ باللين فقال: أخرج بأبي وأمي، أنت مستور، إني والله ما أراكَ تعرفُني ولو عرفتني لقنعت بقولي واطمأننت إليَّ. أنا - فديتُك - أبو الأغَر النهشليّ، وأنا خال القوم وجلدةٌ

---

(١) أي: يا لئيم.

بين أعينهم لا يعصونني، ولن تضارَّ الليلة فاخرُج أنت في ذمتي وعندي قوْصَرتان[١] أهداهما إليَّ ابن أختي البَارُّ الوَصُول فَخُذْ إحداهما فانتبذها حلالاً مِنَ الله ورسوله.

وكانَ الكلبُ إذا سَمِع الكلام أطْرق وإذا سكت وَثَبَ يُريغُ المَخرَج، فتهافتَ أبو الأغر ثم تضاحكَ وقال: يا ألأم الناس وأوضعهم لا أرىٰ إلا أني لك الليلة في واد وأنت لي في واد، أُقلِّبُ السوداء والبيضاء فتصيخ وتطرق، وإذا سكتُّ عنك وثبت تريغ المخرج، والله لتخرُجنَّ أو لألجنَّ عليكَ البيت.

فلمَّا طالَ وقُوفه جاءت إحدىٰ الإماء فقالت: أعرَابيٌّ مجنون، والله ما أرىٰ في البيت شيئاً، فدَفَعَتْ الباب فخرج الكلب شَدّاً وحَادَ عنه أبو الأغر ساقطاً علىٰ قفاه، ثم قال: يالله ما رأيت كالليلة ! والله ما أراه إلاَّ كلباً، وأما والله لو علمت بحاله لَوَلجْتُ عليه[٢].

---

(١) وعاء للتمر ويكني بها عن المرأة.

(٢) عيون الأخبار، ابن قتيبة (١/ ٢٥٩ - ٢٦٠).

٢- أبو حيّة النميري:

وكان لَهُ سيفٌ ليس بينه وبين الخشية فرقٌ، وكان يُسميه لُعَابُ المنيّة. قال جارٌ له: أشرفتُ عليه ليلة وقد انتضاه وشمَّر وهو يقول: أيُها المُغتر بنا والمُجْترئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خيرٌ قليلٌ وسيفٌ صقيل، لُعَابُ المنية الذي سمعتَ به، مشهورٌ ضربته لا تخاف نبوته. أُخرج بالعفوِ عنك وإلاَّ دخلتُ بالعقوبةِ عليكَ، وإنِّي والله إن أدْعُ قيْساً تملأ الأرضَ خيلاً ورْجلاً. يا سبحان الله، ما أطيبها وأكثرها ! ثم فتح الباب فإذا كلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذي مَسَخَكَ كلباً وكفاني حرباً(١).

٣- روحُ بن زنباع:

لما قَتَلَ عبد الملك مُصْعَبَ بن الزبير وجه أخاه بشر بن مروان على الكوفة ووجه معه روح بن زنباع الجذامي كالوزير، وكانَ روح رَجُلاً عالماً داهيةً غير أنَّه كان من أجبن

(١) عيون الأخبار، ابن قتيبة (١/ ٢٦١).

الناس وأبخـلهم، فلمـا رأىٰ أهل الكوفـة من بُخْله مـا رأوا تَخَوّفوا أن يفسد عليهم أمرهم وكـانوا قد عرفوا جبنه فاحتالوا في إخراجه عنهم فكتبوا ليْلاً علىٰ بابه:

إنَّ ابن مـروان قد حـانَتْ مَنـيْتَهُ   فاحْتَلْ لنفْسِكَ يا روح بن زنباع

فلمَّـا أصبح ورأىَ ذلك لم يشُك أنَّهُ مـقتولٌ فـدخلَ علىٰ بِشر فـاستأذنه في الشـخُوص فـأذنَ له، فخرج حـتىٰ قَدِم علىٰ عبد الملك فـقـال له: ما أقـدَمَكَ ؟ قـال: يا أميـر المـؤمنين، تركتُ أخـاكَ مقـتولاً أو مـخلُوعاً. قـال: كيف عـرفت ذلك؟ فأخبره الخبر فَضَحكَ عبد الملك حتىٰ فَحَصَ برجْليه، ثُمَّ قال له: احتال لكَ أهل الكوفة حتىٰ أخرجُوك عنهم [١].

ولعلَّكَ - أخي - داخَـلَك شيءٌ من الخـفـة والـطَرَافـة مع أخبار هؤلاء الجُبناء، وكُلِّي أمـلٌ أن لا تُنْسِيكَ هذه الطرافة ما نالَ أصحابهـا من المَلامَة والمَذَمَّة والذكْـر السيئ علىٰ تطاول الأيام وتعاقب الدُهـور، فقد ظلت مـسطورة يتناقلها الأحـفاد

---

(١) عيون الأخبار، ابن قتيبية (١/ ٢٦٤).

جيل بعد جيل لتشهد على أقوام بأنَّهم كانوا جبناء، فلحقتهم الذلة، ومهانة النفس، وسوء العيش، وقلة الثبات على الأمور، وطمع الناس فيما يملكونه، وتمكن الظالمون من ظلمهم، واستمعوا للقبائح وللسب والقذف، وتحملوا الفضائح في أنفُسهم وأهليهم، وتعطلت الكثير من مصالح دينهم ودنياهم، ومن ثمَّ باتت حياتهم حياة التعساء، وأمثال هؤلاء لا تدري ما الذي يحرصون عليه في هذه الحياة إذا كانت بهذه الصورة ورحم الله القائل:

فإما حياة تسُر الصديق وإما ممات يغيظ العدا

وبالمقابل انظر إلى صور الشجاعة وثمراتها وحياة العز التي يحياها الشجعان...

❁ ❁ ❁

(لقدْ لِقيتُ كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي موْضع شبر إلاَّ وفيهِ ضربةٌ أوْ طعنةٌ أوْ رميةٌ، ثُمَّ هاأنا أمُوتُ على فِراشِي حتْفَ أنفِي فلاَ نامتْ أعين الجُبناءِ).

أبو سُليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه

الشَّجَاعـةُ

حقـيقـةُ الشجاعـة: هِي مَلَكةٌ يقْتـدر بها العـبد علىٰ قـهر خصمه، وهي خُلق بين الجَبُن والتهور.

والشجـاعةُ خُلقٌ مـمدوح مـحمـود محبوب، فهي تـحمل صاحبـها علىٰ عزة النفس ومعالي الأخـلاق والشيم، وعلىٰ البذل والندىٰ وكظم الغـيـظ والحلم، فـالشـجـاع قـويّ النفس، عـالي الشكيمـة، مُمْسِكٌ بعنان نفسه، كمـا قال النبي ﷺ : (لَيـس الشديد بالصُّرَعة، وإنَّما الشديد الذي يَمْلِكُ نفسهُ عند الغضب)(١).

منزلة الشجاعة:

والشجاعـة منزلة بين التهور والجُبن، فالتـهور هو الإقدام علىٰ ما يمنعه العقل والشره، والجُبن هو الإحجام عن ما يأمر به الشرع والعقل.

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري رقم (٥٧٦٣) ٥/ ٢٢٦٧، وصحيح مسلم رقم (٢٦٠٩) ٤/ ٢٠١٤.

والنفس إذا انحرفت في شجاعتها، انحرفت إمَّا إلىٰ تهُورٍ وإقدام غير محمود فيلقي صاحبها بنفسه إلىٰ المهالك والمعاطب، والله - تعالىٰ - يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وإمَّا إلىٰ جُبن وتأخُّر مذموم كما مرَّ بنا، وكلا طرفي الأمور ذميم، فهي خُلق متوسط بين الجُبن والتهور تضبطه ضوابط الشرع.

ثمرات الشَّجاعة:

ويترتب علىٰ خُلق الشجاعة أربعةُ أمورٍ هي:

الأول: الإقدام في موضع الإقدام

الثاني: الإحجام في موضع الإحجام

الثالث: الثبات في موضع الثبات

الرابع: الزوال في موضع الزوال

وخلاف هذه الأربعة فهو مُخِلٌّ بالشجاعة، فهو إمَّا جُبن، وإمَّا تهور، وإمَّا خِفة وطيش.

مراتبُ الشجعان:

وللشُجعانِ مَراتبِ منها:

الأول: الهُمام: وسُمي بذلك لهمته وعزمه.

الثاني: المقدام: وسُمي بهذا من الإقدام وهو ضد الإحجام.

الثالث: البَاسل: وهو اسم فاعل من بسل يبسل، كشرف يشرف، وبَسَلَ: شَجُعَ وعَبَسَ عند الحرب.

الرابع: البطل: وهو الذي يبطُل شجاعة غيره، فتبطُلُ عنده شَجاعة الشُجعان.

الخامس: الصنديد: وهو الذي لا يقوم له شيءٌ فهو الشريف الشجاع.

أقسامُ الشجاعةِ: وهما قسمان:

أ- محمودةٌ: : وَهِي التي تُستخدم في نُصرةِ الحق، وقمع الباطل، وتحصيل المنافع العامة والمصالح المشتركة.

ب- مَذْمومةٌ: وَهِيَ التي تُستَخدم في عَصبيةٍ أو حَميةٍ أو جَاهليةٍ مَقيتة، أوْ من أجل حُظوظ النفس الدنيئة.

ضابط الشّجاعة:

هُوَ إخلاص النيّة في صرف هذا الخُلق النبيل لله - تبارك وتعالىٰ - وإلاَّ دَخَلَ صاحبها في الحميّةِ والرياء وكلاهُما مُردي في نار جهنم - عياذاً بالله من ذلك - فعن أبي موسي قال: جاء رجلٌ إلىٰ النبي ﷺ فقال: الرجُل يُقَاتلُ حميةً، ويُقَاتلُ شَجاعَةً، ويقَاتل رياءً، فأي ذلكٌ في سبيل الله ؟ قال:(من قاتلَ لتكُونَ كلمةَ الله هي العُليا فهُوَ في سبيلِ الله)(١)

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ أولُ مَنْ تُسَعَرُ بهم النار ثلاثةٌ، ثمَّ ذكر منهم: مُقاتلٌ في سبيل الله فقال: (يؤتَي بالذي قُتل في سبيل الله فيُقَال له: في مَاذا قُتلتَ؟)، فيقول: أمَرتَ بالجهَاد في سَبيلك فقاتلت حتىٰ قُتلتُ، فيقولُ الله: كَذَبتَ، وتقُولُ الملائكَةُ: كَذبتَ، ويقولُ الله: بَلْ أردتَ أنْ يُقَالُ: فُلانٌ جرئٌ، فقد قيلَ ذاكَ (قال أبو هريرة): ثُمَّ ضربَ رسولُ الله ﷺ ركبتي فقالَ: (يا أبا هُريْرةَ، أولئكَ أولُ خَلقٍ تُسعَرُ

---

(١) متفق عليه، البخاري رقم (١٢٣) ١/٥٨، ومسلم رقم(١٩٠٤) ٣/١٥١٣.

بِهِـمُ النَّار يَوْم القيامة)[١].

فضْلُ الشَّجَاعة:

وللشجاعة فضَائلٌ ومَحَامدٌ منها:

١- أنَّ الله - تبارك وتعالىٰ - مَـدَحَ أهلها فقال: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

٢- الاقتداءُ بالنبيِّ ﷺ فقدْ كانَ ﷺ أشجع الناس علىٰ الإطلاق، وكذلك صحابته الكرام ﷺ أجمعين (انظر أمثلة لشجاعتهم في كتاب: "كن سباقا " من هذه السلسلة).

٣- أنَّ الشُجاع يَرُدُّ صِيته واسمه عنه أذىٰ الخلق، ويمنعهُم مِنَ الاجتراء عليه، فالشجاعةُ وقاية والجُبنُ مقتلة، قالَ ابنُ القيِّم: «لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الشَجَاعَةِ إلاَّ هذه لكفىٰ بِهَا شَرفاً وفَضلاً».

---

(١) صحيح ابن خزيمة (٢٤٨٢) ٤/ ١١٥، وصحيح ابن حبان (٤٠٨) ٢/ ١٣٥، والترمذي (٢٣٨٢) ٤/ ٥٩١.

٤- الشجاع مَحْبُوبٌ مِنْ جميع الخلق، وقد قيل: إنَّ الشجاع مَحْبُوبٌ حتىَ من عدُوه، والجبانُ مَبْغُوضٌ حتىَ من أمِّهِ.

٥- أهْلُ الشجاعةِ هُمْ أهل حُسْنِ الظنِ بالله - تعالى - كمَا أنَّ أهل الجُبن هُمْ أهل سوء الظن بالله تعالى.

٦- الشُجاع دَائمًا مُنْشَرِحُ الصدر، مُتَسِعُ القلب، وذلكَ بعَكْسِ الجَبَان فإنَّهُ مِنْ أضيْق الناس صدراً، وأحصَرهم قلباً، لَيسَ لهُ فرحةٌ ولا سرور.

❁ ❁ ❁

خمسة عشر سبباً
في استجلاب الشجاعة ومدافعة الجُبن والخوف

أولهما: العقيدةُ الصحيحةُ في الله - جلَّ جلاله - وأسمائه وصفاته، وأفعاله وآلائه، وأنه مَالك المُلك، وأنه المُعطي والمَانع والضَّار والنَّافع، وأنَّ نواصيَ العباد وأرزاقهم وآجالهم بيده، وأنَّها مُقدَرةٌ عليهم قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألفَ سنه. قال الشيخ السعدي: «فهذه العقائد الصحيحة النافعة (أي: معرفة أسماء الله وصفاته، وأفعاله وآلائه واليوم الآخر والحساب والفضل، والثواب والعقاب) تملأُ القلبَ أمناً وإيماناً ويقيناً ونوراً وهدايةً، وتعبداً لله وتألهاً له، وإنابةً إليه في كل الأحوال، ولجوءاً إليه في كل النَوازل والمُهمات، وطُمأنينةً بمعرفته، وسُكوناً إلى ذكره والثناء عليه، وتُوجِبُ للعبد قوةَ التَوكُلِ على الله والاعتماد الكامل والاستعانة به في مزَاولة الأعمال الدينية والدُنيوية وكُلَّمَا ضَعُفَتْ إرادةُ العبد وَوَهَنَتْ قوته في محاولة المهمات، أمَدَه هذا الإيمان الصادق بقوة قلبية تتبعها الأعمال البدنية، وكُلما أحاطَت به المخاوف كان هذا الإيمان حِصْناً

حَصِيناً يلجأُ إليه المؤمن، فيطمئن قلبه، وتسكُنُ نفسه، قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤]»(١).

ثانيها: اليقينُ التام بأنَّ الخَلْقَ مهما بلغت قوتهم وجبروتهم فإنَّهم أقل وأعجز من أن يضُروا المرء شيئاً إلا بما قدره الله عليه، قال تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١]، وفي حديث ابن عباس المرفوع: (واعْلَمْ أنَ الأُمَةَ لو اجتَمَعت علىَ أنْ ينفعوكَ بشيء لم ينفعوكَ إلاَّ بِشيء قد كتَبَهُ الله لكَ ولو اجتمعوا علىَ أنْ يضُرُوكَ بشيء لم يضُرُوكَ إلاَّ بشيء قد كتبهُ الله عليكَ، رُفِعَت الأقلام وجفَّت الصُحف)(٢).

ثالثها: يجبُ صرف الخوْف كُله لله - تبارك وتعالىٰ - فَمَنْ صَرَفَ الخوف كله لله واتقاه حقَّ التقوىٰ وخشاه حق

---

(١) الرياض النضرة، للشيخ عبد الرحمن السعدي.

(٢) سنن الترمذي رقم (٢٥١٦) ج (٤) ص (٦٦٧).

الخشيـة، دافع الله عنه وحماه، وقد وعدَ الله - سبـحانه وتعالى - بحـمـاية عباده المؤمنين بقـوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]، وقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، وقـوله: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٤].

رابعها: المُعَايشةُ الدائمةُ مع كتاب الله تعالى، قراءةً وتدبُراً وفَـهْمَـاً، وهذا مِنْ أعظم الأسباب المُـعنية على إزالة خـوف المخلوقين ورهبتهم من النفس.

خـامسـهـا: ينبـغي العـملُ على زيادة الإيمـان في القلب، وتقـويتـه ورفع الوهن عنـه، وذلك بالاسـتـزادة مـن نوافل العبادات كقيامِ الليل والمُحَافظة على السُنن الرواتب والصيام والعُـمـرة والحج إنْ تيسـر والاستـزادة من أنواع القُرَبِ كـالبرِّ والصِّلة وغيرها.

سـادسـهـا: صونُ النفسِ عَنِ الآثام والبُعد بهـا عن الدنايا، فـالمـعاصي تُـوهِنُ القلب وتجلبُ الخـوف والقلق. قـال ابن القـيم: ومنها (أي: المـعاصـي) زوال أمْنِه وتَبَدُلِه به مـخافـةً،

فأخوفُ النـاس أشدهم إساءةً [١] وعلى سبيل المـثال، أثبَتَتْ الأبحاث الحديثة أنَّ استخدام الـعادة السرية مِنْ أكثر الأسباب الجالبة للخوف من المجهول والـحزن والقلق، نتيجة للشعور بالذنب الذي ينتاب مُتعاطيها فورَ الانتهاءِ منها.

سابعها: الاستعانةُ بالصلاة، فلا يزال ينبوع الصلاة المُتَدَفقُ يفيضُ على العـباد طُمْأنينةً في النفسِ، وثَبـاتاً في القلبِ، وقوةً في البـدن، ونشَاطاً في الجـوارح وانشـراحاً في الصـدرِ ونُوراً في الوجـهِ، وبَسْطاً فـي الرزْق، ودفـعـاً للغـم، وكل هـذه الأمـور من الأمـور الجالبـة للشَجَاعـةِ، ومن جَرَّبَ عَلِمَ تـأثير الصلاة العجـيب في دفـع الخـوف ولذلك كثـيراً ما تقرأ قوله تعـالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ [٢] [البقرة: ٤٣] وغيـرها، وقوله: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ﴾ [البقرة: ٤٥].

ومنْ عِظَمِ أمـر الصـلاة في حُـصُـول طُمأنـينة القلب، لم يُسْقِطُهـا الرَّبُ - تبـارك وتعالى - عن الـمُحَـارِبِ بالكُليـةِ،

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٤٠٨).

(٢) ورد الأمر بلفظ (أقيموا الصلاة) ثمان مرات في كتاب الله.

فَجَعلَ لَهُ صَلاَةً على صفة مَخْصُوصَة وَهِيَ (صلاةُ الخوف) لِمَا في الصلاة مِنَ الفوائد، ثُمَّ أمَرَهُ بعدَ الفراغ منها بِذِكْرِ الله تعالى لجَبْرِ ما نقصَ من الطُمأنينة في الصلاة.

ثامنُها: الاستعانةُ بذِكْرِ الله - تعالىٰ - قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨] وقد أمر الله - تبارك وتعالىٰ - المجاهدين في سبيله باللهج بذكره عند تَرَاصِّ الصفوف للقتال، فقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥] ، وقال - تعالىٰ - بعد أنْ ذَكَرَ صلاة الخوف: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣].

ذلكَ أنَّ المُقَاتل في المعركة لا تحصلُ له الطُمأنينة التامة في صلاته بسبب القلق والخوف الحاصل، فأمرَهُ الله - تعالىٰ - بِجَبْرِ ذلك بالإكثار من ذكر الله تقويةً لقلبه وطرداً للخوف والقلق منه.

تاسعها: الاستعانةُ بالصبر: واعْلَمْ - رَحِمَكَ الله - أنَّ الشجاعةَ صبرُ ساعة، ولولاَ هذه الجُرْعة منَ الصبر لمَا سُميَ الشجاعُ شُجاعاً، ولاً الجبانُ جباناً، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٥]، وقال تعالىٰ: ﴿واستعينوا بالصَّبْرِ والصَّلاة﴾ [البقرة: ٤٥]، قالَ شيخُ الإسلامِ - رحمه الله -: "أصلُ ذلكَ الصبر علىٰ المُؤلم وهذا الشُجاع الشديد، الذي يَصبر علىٰ المُؤلم"[١].

ومما يُؤكد أنَّ بين الصبر والشجاعة تلازمُ، أنَّ الصبر: «هو حبس النفس عن الجزَع والهلَع والتَشَكِّي، فيحبس النفس عن التسخُط، واللسان عن الشكوي، والجوارح مماً لا ينبغي فعله، وهو ثباتُ القلب علىٰ الأحكام القدرية والشرعية»[٢].

قالَ حسانَ يَصِفُ الأنصار رضي الله عنهم:

لاَ فخرَ إنْ هُمْ أصابُوا من عدُوهم
وإنْ أُصيبُوا فلا خَورٌ ولا هَلَعٌ

فلابدَّ مِنَ الصبر مَعَ الإصرار فِي مُواجهة الخوف.

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٢٨/ ١٥٩).

(٢) الروح: (٣٢٨).

عاشرها: الاستعانةُ بالدعاءِ: وهو من الأمور العظيمة في دفع الخوف وجلب الشجاعة وقد وعد الله - تبارك وتعالى - بالإجابة فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُم ادعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر. ١٤]، وقال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال النبي ﷺ: (أعْجَزَ الناس من عَجَزَ عنِ الدُّعَاءِ، وأبْخَلُ النَّاس مَنْ بَخِلَ بالسلام)[١].

وكانَ ﷺ إذا خَافَ قوماً قال: (اللَّهمَّ إنَّا نجعلك في نحورهم، ونعوذُ بكَ مِنْ شُرُورِهِمْ)[٢]، وكَانَ مِنْ دُعَائه أيضاً: (اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من العجْزِ والكسل، والجُبن والبُخل...) والحديث متفق عليه.

---

(١) السلسلة الصحيحة ٦٠١.

(٢) صحيح ابن حبان رقم (٤٧٦٥) ١١/ ٨٢، ومستدرك الحاكم رقم (٢٦٢٩) ٢/ ١٥٤، وسنن أبي داود (١٥٣٧).

ودعا على من أخاف أهل المدينة فقال: (اللَّهُمَّ مَنْ ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه، عليه لعنةَ الله والملائكة والنَّاس أجْمعين، لا يقْبل الله منْه صَرفاً ولا عدلاً)[١]، وعن ابن زغب الأيادي حدثه قال: نزل عليَّ عبد الله بن حوالة الأزدي فقال لي: بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئاً، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: (اللهمَّ لا تَكلْهُمْ إليَّ فأضعف عنهُم، ولا تَكلْهُمْ إلىَ أنفُسهم فيعجزوا عنها، ولا تَكلْهُمْ إلىَ النَّاس فيَسْتَأثِروا عليْهُم) ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ علىَ رأسي، أو قال على هَامَتي، ثُمَّ قالَ (يا ابن حوالة: إذا رأيْتَ الخلافة قَدْ نَزَلَتْ أرض المقدسة فَقَدْ دَنَتْ الزلازلُ والبلابل والأُمُور العظَام، والسَّاعةُ يومئذ أقربُ من الناسِ مِنْ يدي هذه مِنْ رَأسَكْ)[٢].

---

(١) معجم الكبير للطبراني رقم (٦٦٣٦) ج (٧) ص (١٢٤) والحديث صحيح.

(٢) مستدرك الحاكم (٨٣٠٩) ٤/ ٤٧١، وأبو داود (٢٥٣٥) ٣/ ٨٩، ومسند الإمام أحمد (٢٢٥٤٠). ٥/ ٢٨٨. وصححه الألباني، انظر صحيح أبو داود رقم (٢٢١٠).

والمقصود أن الدعاء باب واسع من أبواب الشجاعة.

الحادي عشر: السَّخاءُ والنَّدىٰ والبذل والجُود: فقد أخْبَرَ - سُبْحَانَهُ - أنَّ المُنَافقين جُبناءُ بُخَلاءُ فقال: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]. وكثيراً ما يجمع النبي ﷺ بين البُخل والجُبْن فيستعيذ ﷺ من الجبن والبخل، ويخبر بأنَّهُ شَر ما في الرَّجُل البُخل والجُبن. قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: «الصدقة من جنس القتال، فالجبان يرجف، والشجاع يثبت».

الثاني عشر: العفو عند المقدرة، قال ابن القيم: "وهو من أعلىٰ مراتب الشجاعة، أن تُسْقط حقك جوداً وكرماً وإحساناً مَعَ القُدرة علىٰ الانتقام، فتُؤثر الترك رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق، بخلاف الذّل، فإن صاحبه يترك الانتقام عجزاً وخوفاً ومهانة نفس، فهذا مَذْمُومٌ غير محمود، ولعلَّ المُنتقم بالحقِّ أحسن حالاً منه، قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: ٣٩]، فمَدَحهم

بقُوتهم علىَ الانتصار لنفُوسهم وتقاضيهم منها ذلك، حتَىَ إذا قَدروا علىَ من بغَىَ علـيهم وتمكنوا من استـيفاء مـا لهم عليه نَدَبَهم إلىَ الخُلُق الشريف من العفـو والصفح فقال ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى: ٤٠] (١).

الثالث عشر: التَخَلق بأخْلاق الشُجْعان: وإنَّمَا العلم بالتعلُم، والحِلمُ بالتحلم، فمن رام الشجاعة فليـحتذي حذو الشجعان ويفعل فعلهم، وقد يقولُ قائلُ: كيف أتصرف تصرف الشجاع وأنا أشعر بالخوف؟ والجواب: إنما هي قفزةٌ واحدةٌ، تَحمْلُك عليها عَـزيمة حُر يرْنُو إلىَ مرَاتب المَجد والرُجُـولة، وقد كان هناك اعتقادٌ سائدٌ في مفهوم الناس أن الفعل يلي الشعور، أي: بمعني أن التصرف بشجاعة لا يمكن أن يصدر إلا من الشجاع حقـاً، ولكنَّ العُلمـاء اكتـشفوا حـديثاً - أنَّ الـفعل والشـعور يسيران معاً في خط مُستقيمٌ ويؤثر كُل منهما علىَ الآخر، أيّ: أنَهُ من خِـلال تعـديل الفـعل يُسيطـر الإنسـان علىَ الإرادة،

---

(١) الروح ابن القيم.

فيستطيع تعديل شعوره بشكلٍ غير مباشر. ومما يُؤيدُ هذا الرأي ما حكاه ابن قُتيبة في " عيون الأخبار " : أنَّه كانَ في بني ليث رجلٌ جبان بخيل فَخَرَجَ رهطه غازين، وبَلَغَ ذلك أُنَاساً مِنْ بني سليم وكانوا أعداءً لهم فلم يشعر الرجل إلا بِخَيلٍ قد أحاطت بهم، فذهب يَفر فلم يجد مَفراً، ووجدهم قد أخذوا عليه كُلِّ وجه، فلمَّا رَأىَ ذَلكَ جلس ثُمَّ نثل كنَانَتَهُ وأخَذَ قَوْسَه، ثُمَّ جَعَلَ يرميهم حتىٰ رَدَّهُمْ، وجاءهم الصَّريخ، وقد مُنِعَ الحيُّ، فصَار بعد ذلكَ شُجاعاً سَمْحاً مَعْرُوفاً [١].

الرابع عشر: تَحْصينُ النفس ضد ما يُعْرَف بـ "حرب الخوف"، أو " الحرب النفسيّة " سَواءً علىٰ مُستوىَ الفرد أو الجماعة، والتي يُقْصَد منها: إلحاقُ الهزيمة بالخصم قبل بدْء المعركة مِنْ خلال مُحاولة زرع الخوف في قلبه، وذَلكَ بتَسْرِيبِ معلومات خَاطئة وأَخبار مُلَفَقَة عَنْ طَرِيقِ الكَذِب والتَهْويل والمُبَالغة، والتي سُرعان ما تتهاوىٰ عند المُواجهة، وقديماً ادَّعَىَ - عدو الله - فرعون دعواه القبيحة فقال: ﴿أَنَا

(١) ورد الخبر في عيون الأخبار لابن قتيبة.

رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات: ٢٤] وقالَ - قبَّحهُ الله -: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨]، فمَاذا كانت نهاية تلك الدعوىٰ العريضة؟ اسْمَع إلىٰ القول الحقّ: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القصص: ٤٠]، غَرِقَ وذَهَبَ وأصبحَ أثَراً بعد عين، ومن قبله ادعىٰ دَعِيٌّ آخر- وهو عدو الله النمرود - قريباً من تلكَ الدَعوىٰ فقال: ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فأُخِذَ ببَعوضَة، دخلت من أنفه، ثُمَّ شَقَتْ طَرِيقها إلىٰ مُخِّه، وهناكَ بدأَتْ عَملها الذي وُكلَتْ به وهو (الطنين)، فكانَ الذي (يُحيي ويُميت) لا يهدأُ لَهُ بَالٌ، ولا يَقرُّ لَهُ قرارٌ، ولاَ يستطيعُ النوم؛ إلاَّ إذَا صُفعَ بالنِّعالِ علىٰ أُمِّ رأسِه حتىٰ هلَكَ وبانتْ حقارته وظَهَرَ زَيْف دعواه.

وَبالأمسِ ادَّعت دولة إسرائيل اللقيطة أنَّ جيشها لاَ يُقْهَرُ، فإذا بِهذا الجندي الذي لاَ يُقْهر يَفرُ ويُولِيَ الدُبُر أمامَ مجموعة منَ الصبيْة الرِّجال، الذِّين سَحَقُوا كرامته ومرغوا أنفهُ في التُراب، وفَضَحوا زيف تِلكَ الدعوىٰ. فلذلك يجب تحصين

النفس وفطامِها عن سماع الأخبار الزائفة.

الخامس عشر: استْحضار فضل الشجاعة والمكارم التي ينالُهَا الشُجاع مِنَ الرِّفْعةِ والعزّةِ والذِّكرِ الحسَنِ، وما يَنالُ الجبان مِنَ العَجْزِ والخَورِ والذِّلة والمَهَانة.

فَهَذه خمسة عشر سَبَباً تُستَجْلَبُ بها الشجاعة ويُدفَع بها الخوف ويُغَالبُ بها الجُبْنِ وَالخَور، ومدارها كُلِّها علىٰ تَقْوية النَّفس بالإيمانِ وَقُوة التوكل علىٰ الله، وكمال الثقة بالله، فإنَّهُ متىٰ تيَّقنَ العبد أنَّ الله هو النَّافع الضار المُعطي المانع، وأنَّ من أعتزَّ بِهِ فهو العزيز، ومَنْ التجأ بغيره فهو الذليل، وأنَّ الخَلْق كُلَّهم فقراء إلىٰ الله لاَ ينفعُون ولاَ يَضُرون؛ أوجبَ له ذلك طُمأنينة وقوة، وتحرر من خوف المخلوقين، ويصبح لا يخف ولا يرجُو أحداً غير الله وبهذا يمتلأ قلبه أمناً ويقيناً ونوراً وهدايةً ويحصل له من قوة القلب والشجاعة ما لا يصل إليه مَنْ لم يبلغ درجته.

❁ ❁ ❁

مَقالة مهمة
في فوائد الشجاعة وذم الجبن والتهوُّر
للشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه اللَّه

قالَ - رَحِمَهَ الله -: حقيقة الشجاعة هي الصبر والثبات والإقدام على الأمور النافع تحصيلها أو دفعها، وتكون في الأقوال وفي الأفعال، فأصلها في القلب وهو ثباته وقوته وسكونه عند المهمات والمخاوف، وثمرته الإقدام في الأقوال والأفعال وعند القلق والاضطراب، وكماله وزينته أن يكون موافقا للحكمة، فإنه إذا زاد عن حد الحكمة خشي أن يكونَّ تهوراً وسفهاً وإلقاءً باليد إلى التهلُكة،وذلك مذموم كما يذم الجبن، فالشجاعة خُلقٌ فاضل متوسط بين خلقين رذيلين، وهما الجبن والتهور.

والشجاعة خلق نفسي، ولكنَّ له مواداً تمده، فأعظم ما يمده وينميه الإيمان وقوة التوكل على الله وكمال الثقة بالله، وأن يعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويمده أيضا الإكثار من ذكر الله والثناء عليه، قال

تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

فمتىٰ قويَّ إيمان العبد بالله وبقضائه وقدره وقوي يقينه بالثواب والعقاب، وتمَّ توكُّله علىٰ الله وثقته بكفاية الله، وعَلِمَ أنَّ الخلقَ لاَ يضرون ولا ينفعون، وأنَّ نواصيهم بيد الله، وعَلِمَ الآثار الجليلة قويَّ قلبُه واطمأنَّ فؤادَه وأقدم علىٰ كل قول وفعل ينفع الإقدام عليه ولابُدَّ لِمَنْ كانت هذه حاله أن يمده الله بمدد من عنده لا يُدركه العبد بحوله ولا قوته، فإن من كان الله معه فلا خوف عليه، ومن كان الله معه هانت عليه المصاعب، ودفعَ الله عنه المكاره، قال الله تعالىٰ: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾

[البقرة: ٢٤٩].

انظر إلىٰ حال نبينا - صلوات الله وسلامه عليه - وقد أحاطت به المخاوف المُزْعجة وهو في الغار، والأعداء منتشرون في طلبه، ويقول له أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! لو نظر أحدهم موضع قدميه لأبصرنا، فقال: (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما) مطمئنا ثابتا غير مبال ولا قلق، يقول الله عنه في

تلك الحـال: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التـوبة: ٤٠] الآية. وانظر إلى جـميع مقـاماته في الدعوة وجهـاد الأعداء، وهو صادع بأمـر الله مُعلن بدعوته للقـريب والبعـيد والعدو والصـديق، لا تصده معـارضة الأعداء ولا قلـة الأنصار والأولياء، لم يـفتُر ولم يضـعُف، ولم يَلِنْ ولم يخف مـخلـوقا، ولـم يثنه خـذلان الخـاذلين، ولا لوم اللائمـين، بل ثَبَتَ على الدعـة والجـهاد المـسـتمـر، أعظم من ثُبوت الرواسِيَ وهو مع ذَلِكَ مُطْمئنٌ ثابت الجـأش، واثقاً بوعد الله، مُستـبشرا بنصر الله، حتىَ أنجز الله له مـا وعده، وأكمل دينه وأعزَّ جُنده وهزم أعداءه وجـعل له العاقبة الحميـدة، وتبعه على ذلك خلفاؤه وأصحابه، فمضوا على ما مضى عليه نبيهم بإيمان ويقـين، وثبات كـامل وقـوة في الدين، حـتى فتـحـوا الأمصـار ودانت لهم الأقطار، وأظـهر الله بـهم الدين، وأتمَّ نعـمتـه على المؤمنين.

والله ما أدركوا ذلك بكثرة عَـدَد ولا قوة عُدَد، كيف وأقل دولة في ذلك الوقت وأضعـفها تَلْتَـهِمُ العرب كلَّهم التهـاماً؟

وإنما أدركوا ذلك بِقُوة الإيمان واليقين،وَبعُدَة الشجاعة الإيمانية المؤيَدَة بالثقة بنصر ربِّ العالمين وبإعداد المُستَطاع من القوة المعنوية والمادية للأعداء، وبالصبر العظيم في مواطن اللقاء. وبالنصر الرباني.

ويمُد هذا الخلق الفاضل أيضا التمرين، فإن الشجاعة وإنْ كانت في القلب فإنَّها تحتاج إلى تدريب النفس على الإقدام وعلى التكلم بما في النفس وإلقاء المقالات والخطب في المحافل، فمن مَرَّنَ نفسه على ذلك لم يَزَلْ به الأمر حتى تكون مَلَكَةً له، وزالت هيبة الخلق من قلبه فلا يبالي، أألقى الخطب والمقالات في المحافل الصغار والكبار على العظماء وغيرهم - وكذلك تمرين النفس على مُقَارعة الأعداء ولقائهم والجسارة في ميادين القتال، تقوى به النفس والقلب فلا يزال به المرء حتى لا يُبالي بلقاء الأعداء، ولا تزعجه المخاوف، وقد حثَّ الله على هذا الدواء النافع بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال:

﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وأثنى على المتصفين بهذا الوصف الجليل في قوله: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فهكذا تكون حال الرجال، لا كمن خلع الرعب قلوبهم، وصار خوف الخلق عندهم أعظم من خوف الخالق، قال تعالى في وصف هؤلاء: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون: ٤]، ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب: ١٩].

واعلم أنَّ الشجاعة المحمودة إذا كان المقصود بها نصر الحق ورد الباطل وتحصيل المنافع العامة والمصالح المشتركة، فأما إذا كانت في حظوظ النفس الدنيئة، لا في حقوق الله وحقوق الخلق فإنها ذميمة، ولذا نجد هذا الصنف من الناس يُقاتل أشد القتال في الخصام على أقل قليل من أمور الدنيا، فأما في الأمور النافعة فإنه في غاية الجبن عنها

والاهتمام بشأنها وسبب ذلك ضعف الوازع الديني وقوة وازع الشهوة البهيمية والسبعية فهؤلاء هم الأرذلون.

ومما يمد هذا الخلق الجليل الإخلاص لله وعدم مراءاة الخلق؛ فإنَّ المُخلص الذي لا يريد إلاَّ وجه الله وثوابه لا يُبالي بِلوم اللائمين إذا كان في ذلك رضاً لرب العالمين، فيُقْدِمُ علىَ قول الحق غير مُبال بانتقاد من انتقده في موضوعه أو لفظه أو فصاحته أو عدمها، لا يعد المدح من الناس شيئا في جانب قيامه بالحق.

أمَّا المُرائي المتزين للناس، الواقف في همته على مدحهم وذمهم، فما أسرع خوره في المقامات الرهيبة، وما أعظم هلعه وهيبته إذا رماه الناس بأبصارهم، وما أقل ثبوته عند اعتراض المعترضين وذم الذامين، والسبب في هذا أنه جعل تعظيم الخلق ومدحهم وثناءهم نصب عينيه وقلبه وهو غايته التي يطلب، ومعلوم أن من كانت هذه حاله أنَّ أقواله وأفعاله تقع على هذا النحو الذي ينحو، والطريقة التي إليها يصبو، ومع ذلك لو قام في مقام من مقاماته الوضيعة، لكانت أقواله وأفعاله

قليلة البركة، غير مأمـون من ثبوته عليها، ولو تأملت الغاية التي يسعى إليـها، وهي إرادة تعظيم الخلق لوجـدت هذا التعظيم أو الثناء إذا فرض وجوده نفاقاً وتزيُّناً واتباعاً للأغراض المتنوعة، فما أسرع ما ينقطع ويتبدل بضده!

أمَّا المُخلص لله القاصد لوجـهه الذي غرضه نفع عباد الله، فإنَّ الله يجـعل في أعمالـه وكلامه الخـير والبركـة، ولو قُدِّر أن يعتـرضه في هذا الطريق لوم اللائمين وطعنـهم، فيا سرعـان ما يزول، فأما الزبد فيذهب جفـاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، كل عمل لغير الله فهو مضمحل باطل، وكل سعي لله ولنفع الخلق فإنه باق ونفـعه متواصل ما أخسـر المرائين! وما أسـوأ حظ المتـشبـعـين بالبهـرج المـتزينين ! ومـا أعظم حظ المخلصين! وما أعظم درجاتهم عند رب العالمين!

الإخـلاص والتوكل والـشجاعـة أخلاق مـتـلازمة يمـد بعضـها بعضـا، ويستعين بعـضها ببـعض، وصاحبـها في علو مطرد، وأضـدادها بالعكس. كم بَيْنَ مـن همتـه الكُبـرىٰ دائرة حول مَرَاضِي الله، والسعي في نفع عباد الله، واستجلاء المَشَاقِ

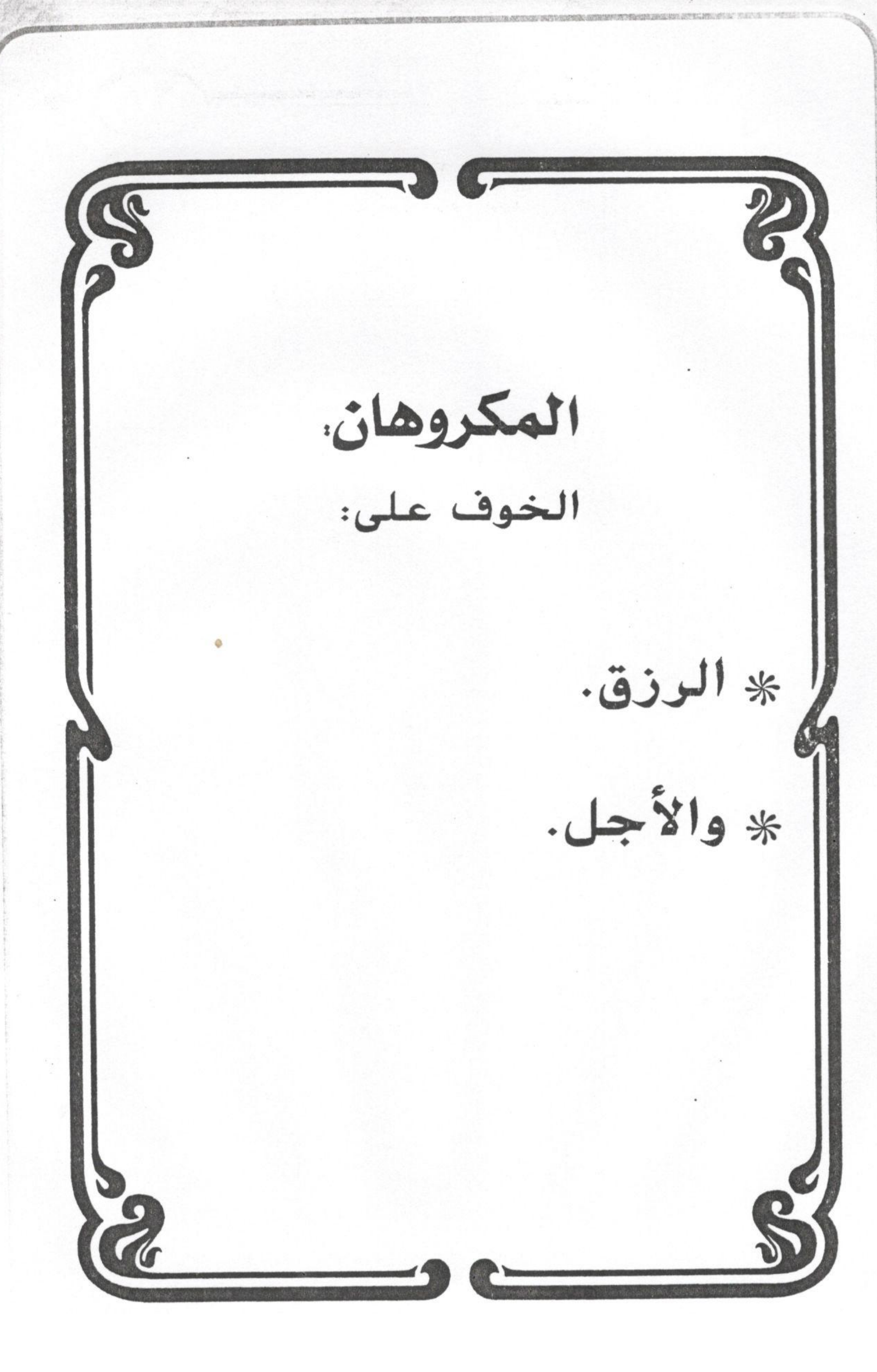
في هذا السبيل، وبين من همته الدنيئة حول الأمور الدنيئة، وغايته التقرب إلى الخلق والتزين لهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾

[الرعد: ١٦].

والآن بعد أنْ قرأت هذا الكلام عن ذلك الخُلُق الفاضل فقم:

واغرس بذرة الشجاعة

❁ ❁ ❁



المكروهان:

الخوف على:

* الرزق.

* والأجل.

المكروه الأول:
الخوف على الرزق

في أمرِ الرزق: لاَ ضياع، ولا فاقة، ولا قلةً، ولا مَذَلة. ألاَ فلْتطمئن النفوس القلقة، ولتسكُن القلوب الخائفة، فقد أقسَمَ الله - تبارك وتعالى - في غير ما موضع من كتابه الكريم بوصفه؛ رباً، وخالقاً، ومالكاً للسماوات والأرض وما فيهن، أنَّ رزق العباد مضمون عنده - سبحانه وتعالى - ففي سورة الذاريات ذَكَرَ الله - تبارك وتعالى - أشياءً لم يُقْسِم عليها فقال: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٢١)﴾ [الذاريات: ٢١] ، لكنه عند ذكْرِ موضوع الرزق أقسَمَ - جلّ ثناؤه - قَسَماً من أعظم الأقسام في القرآن الكريم بأنَّ رزقَ العباد مَضْمُونٌ عنده فقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣)﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣].

والمعنى: أنَّ ضمان رزقكم عنده في السماء أمر واضح جليٌّ ساطع، وضوح حاسة النطق فيكم، فكل حاسة في

الإنسان قد تخدع صاحبها إلا حاسة نُطق الإنسان وهو في كامل وعيه، ومع هذا القَسَم الواضح من عالم السرِّ وأخفي، إلاَّ أنَّ هُنَاكَ نُفُوساً قتلها الخوف والقلق والرِيبة في أمرِ الرزق.

ضمان الرزق على الله - عزوجل -:

إنَّ موضوع الرزق مِنْ أكثر المواضيع التي تَطْرُقُ سمعك في القرآن الكريم، ولقد وردت كلمة: «رِزْقْ» بتصريفاتها في كتاب الله تعالىٰ في نحو من (٦١١) مرة، أكثرها يقرر في النفوس حقيقة أنَّ الرزق بيد الله ومن عنده -سبحانه وتعالىٰ- وإليك طرفاً منها:

▪ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا من دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود: ٦]، قال ابن كثير: «أخبرَ - تعالىٰ - أنَّهُ مُتكَفِلٌ بأرزاق المخلوقات مِنْ سائر دواب الأرض صَغيرها وكبيرها، بحريْها وبريْها، وأنَّهُ يَعْلَمُ مُسْتقرها ومُسْتودعها)، وقال الطبري: (ما تَدُبُ دابة في الأرض...إلاَّ ومن الله رزقها الذي يَصلُ إليها، هو مُتكفل بهِ، وذلك قُوتها وغذاؤها وما به عيشها».

■ وقال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت: ٦٠]. قال ابن كثير: (أي: لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئاً لعذر (الله يرزقها وإياكم) أي: الله يُقَيِّضُ لها رزقها علىٰ ضعفها، ويُيَسْره عليها فيبعث إلىٰ كُلِ مَخْلُوق من الرزْق ما يصلحه، حتىٰ الذَّر في قَرَارِ الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في الماء).

■ قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى: ١٩].

قال ابن كثير: «يقول - تعالىٰ - مخبراً عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم لا ينسىٰ أحداً منهم، سواء في رزقه البر والفاجر».

■ وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، قال ابن كثير: «أي: مِنْ وجه لاَ يَخْطُرُ بباله، ولاَ يكونُ في حسابه»، وقال الطبري: «أي: يُسبب أسباب الرزق من حيثُ لاَ يشعر ولا يعلم».

■ وقال تعالى: ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٧]، قال ابن كثير: «أي: فاطلبوا (عند الله الرزق) لا عند غيره، فإنَّ غيره لا يملك شيئاً».

وقال الشوكاني: «أي: اصرفوا رغبتكم في أرزاقكم إلى الله فهو الذي عنده الرزق كله فاسألوه من فضله ووحده دون غيره».

وقد قَطَعَ الله - سبحانه - أعذار المتقاعسين عن عبادته بسبب الرزق فقال: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه: ١٣٢] قال الشوكاني: «لاَ نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ نفسك وأهلك وتشتغل بِذَلِكَ عَنِ الصَّلاة».

الحِكْمة من تفاوت الرزق بين العباد:

ولحِكَمٍ عدة فاوت الله - تبارك وتعالى - في الرزق بين عباده، فقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [النحل: ٧١]، قال الشوكاني: «جعلكُمْ مُتفاوتين فيه فوَسَّعَ على بعض عباده، حتىَ جَعَلَ له مِنَ الرزق ما يكفي أُلوفاً مؤلفةً من بني آدم، وضَيَّقَهُ على بعض عبادِه حتى صارَ لاَ يجد القوت إلا بسؤال الناس والتكَفُف

لهُمْ»، وقال القرطبي: «أي جعل منكم غنياً وفقيراً وحراً وعبداً».

والحكمة من ذلك هو ما أخبر عنه - سبحانه وتعالى - بقوله: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧]، قال ابن كثير: «أي: لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض أشراً وبطراً».

ومن الحكم أيضاً تسخير العباد بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٢]، قال الشيخ السعدي: «لو تساوى الناس في الغنى، ولم يحتج بعضهم إلى بعض لتعطل كثير من مصالحهم ومنافعهم».

ليس سعة الرزق كرامة ولا إقتاره مهانة:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ

رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الفجر: ١٥، ١٦]. أجابَ الله - تبارك وتعالى - عليهم بقوله: (كَلاَّ)، فأنكرَ عليْهم هذا الظن بأنَّ سعَةَ الرزْقَ إكراماً وأنَّ ضيقه إهانةً، وأخبرَ أنَّ الأمرَ ليس كَمَا ظنوا، بَلْ هو إبتلاءٌ واختبارٌ كَمَا قالَ تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٥ - ٦٥]، فليْسَ الأمر كَمَا زَعَمَ هؤلاء ولاَ هؤلاء، قال ابن كثير - رحمه الله -: (إنَّ الله يُعْطِي المال مَنْ يُحبُ ومن لاَ يُحب، ويُضَيق علىَ من يُحِب ومنْ لاَ يُحب، وإنَّما المَدَارُ في ذلكَ طاعة الله في كل من الحالين: إذا كانَ غنياً يشكر الله علىَ ذَلِكَ، وإذا كانَ فقيراً أنَّ يصبر).

ثلاثة عشر سببًا جالبة للرزق

وَتلْكَ ثلاثة عشرَ سبباً وَرَدَ الدليل عليها من الكتاب والسنة بأنَّها مِنَ الأسبابِ الجالبةِ للْرزقِ، ومَنْ رَامَ التوسع في ذكْرِ الدليل عليها فليُراجع كتيبنا: أَسباب الرزق من الكتاب والسنَّة.

السببُ الأول: التوكل على الله.

السبب الثاني: تقوىَ الله.

السبب الثالث: صلة الرحم.

السبب الرابع: الاستغفار والتوبة.

السبب الخامس: الإحسان إلى الضُعفَاء.

السبب السادس: الإنفاقُ في سبيل الله.

السبب السابع: تفريغ القلب لعبادة الله - تعالى -.

السبب الثامن: النكاح.

السبب التاسع: المُتابعة بين الحج والعمرة.

السبب العاشر: الجهاد في سبيل الله.

السبب الحادي عشر: اللجوء إلى الله عند الفاقة.

السبب الثاني عشر: المهاجرة في سبيل الله.

السبب الثالث عشر: العمل بالطاعات، وقَدْ قالَ النبي ﷺ: (وإنَّ الرجل ليُحْرم الرزق بالذنب يصيبه) .

❁ ❁ ❁

المكروه الثاني: الخـوف من المـوت

هُنَاكَ قَاسِمٌ مُشْتركٌ في الخوف مِن الموت كـائنٌ بينَ جميع البشـر، لكنَّه يَزْدَادُ بِأُنَاسٍ حتىٰ تُسَيْطـرُ فكرة المَـوت علىٰ كُلِّ كيانهم، وتحتل صورة الكفن واللَّحد والقبر، ثُمَّ استحالة الجسد إلىَ صُورة مُـرْعبةٌ بعد الدفن حـيزاً كـبيراً مـن تفكيرهم، وَقَـعدَ بآخـرين فَـلَمْ يخْطُرْ لَهُمْ علىٰ بَالٍ ومـضـوا في طريق حـيـاتهم مُتـجاهلين هذه الحـقيقـة مُتغـافلين عنها، فانطلقـوا في ملذَّاتِهم وشهواتهم كأَنَّهُم مُخَلدون في هذهِ الحياة الدنيا،إلاَّ أنَّه في النهاية يَظِلُ هُنَاكَ قاسمٌ مشتركٌ بين الجميع في الخوفِ مِنَ المَوت.

لمَاذا نَخَافُ المَوْت؟

والإجابة علىَ هذا السُؤال لاَ تخرج عَن الأمُورِ التالية:

- غُمُوض حقيقة الموت.
- الشُعور بالخَطيئة نتيجة ارتكاب الذنوب والمعاصي.
- فرَاق الأَحبة والملذات والآمال.
- تَحلل الجسد واستحالته إلىٰ شيء مخيف وكريه.

هل يمكن الإفلات من الموت ؟

لاَ يشكُ عاقلٌ في أنَّ الإجابة علىَ هذا السُؤال بالنفي، فمَهْمَا أُوتيَ الإنسانُ منْ مال أوْ جاه أوْ منصب أوْ خدمٍ أوْ حَشَمٍ لاَ بد له في النهاية منْ أنْ يذوق الموت.

قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الأحزاب: ١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، قال العلماء: «كُل شيء تفر منه تبعد عنه إلا الموت إنْ فررت منه قربت إليه؛ لأنه ملاقيك منْ قِبَلِ وجهك».

علاج الخوف من الموت:

المَوتُ انتقالٌ مِنْ دَار إلىٰ دار، فهو نهاية لدار مُؤلمة ضيقة مُؤقتة، وبداية إلىٰ دار أُخروية أخرىٰ رحبةٍ ودائمة، قال الله عنها: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وقال: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف: ١٦٩]، والمسلم

يختلف في هذا عن الماديين الذين أخبر الله عنهم أنهم يقولون: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمبعوثِين ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون: ٣٧].

والدار الآخرة التي ينتقل إليها الإنسان بعد الموت هي دار جزاء وعطاء على ما قدم لنفسه في دار العمل، ولا مُشَابهة بين الدارين البتة، فالموت لمن حَسُنَ عمله:

* نهاية دار عمل وبداية دار جزاء.

* ونهاية دار ضيقة وبداية دار رحبة.

* ونهاية دار هموم وغموم إلى دار سعادة وحبور.

مثال واقعي لتقريب هذه الصورة الذهنية:

ولتقريب هذه الصورة إلى الأذهان لنأخذ بداية الإنسان وهو جنين في بطن أمِّه.

يقول العلماء: (إنَّ الطفلَ في أشهُرِ ما قبل الولادة وهو في بطن أمِّه يعقل ويسمع، ويضحك ويبكي، ويلعب ويمرح في هذه الرقعة الرحبة الفسيحة بالنسبة له، فإذا ما حانت لحظة ولادته، وأَذِنَ الله له في الخُروج مِنْ بطن أمِّه إلى هذه الدار

الدنيـا، فإنَّه يظنُ أنَّ المـوتَ والهلاك نازلٌ به، عندئذ يتشبث ويبكي ولا يريد الخروج، وإنْ كانَ هناك توأم، فـخرج أحدهما قبل الآخر بخمس دقائق - مثلاً - فإنَّ أخاه يحزنُ عليه ظناً منه أنه قـد مـاتَ)، فـهل يقـبل الطـفل بعـد ولادته بأعـوام قليلة ومشاهدته لهـذه الدنيا واستمتاعه بهـا أنْ يعود إلىٰ بطن أمِّه منْ جـديد ولو عـرضت مـا عـرضت عليـه من الـمغـريات والمشوقات؟ حتماً سيكون الرد هو الرفض القاطع والحاسم.

إنَّ رفض الطفل الرجـوع إلـىٰ نفس المكان الذي شَهـدَ إقامتهُ تسعة أشهُر كاملة، هو نفس رفض الميت أنْ يَرْجِعَ إلىٰ الدُنيا ولَوْ كـانَ أغنىٰ الخلق، ولو كانَ أنعم الخلق معـيشةً إذا وجد لـه عند الله ما يسـره، ولو عرضت مـا عرضت عليـه من المُغْريات، فـفي الصحيحـين من حديث أنس ﵁ أنَّ رسـول الله ﷺ قال: (مَا مِنْ عبدٍ يموت لَهُ عندَ الله خيرٌ يَسُرُّه، أنْ يرجعِ إلىَ الدُنيـا وأنَّ لَهُ الدنيا ومـا فيـها إلاَّ الشـهيـد لِمَا يرىٰ منْ فـضلِ الشهادة، فإنَّه يَسُره أنْ يرجع إلىَ الدنيا فيُقْتَل مرة أخرىٰ)[1].

---

(١) متفق عليـه، البـخاري (٢٦٤٢) ٣/ ١٠٢٩ ، وصـحيح مـسلم (١٨٧٧) ٣/ ١٤٩٨.

هذا إذا افترضنا أنَّ سعَة هَذه الدنيا بالنسبة إلى الآخرة، هي كَسعةِ بطن الأم بالنسبة لهذا الكون الفسيح، ولقد صَوَّر النبي ﷺ سعَةِ الدنيا بالنسبة للآخرة أجمل تصوير وأبلغه، كما جاءَ ذلك في صحيح مسلم وابن حبان وغيرهما من حديث قيس قال: سمعت مستوردا أخا بني فهر يقول: قال رسول الله ﷺ: (ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه (وأشار بالسبابة)في اليم فلينظر بِمَ يرجع)[١].

فإذا اتسعت مُخيلتك لتتخيل مقدار الماء الذي نقصَ منَ اليمِّ جرَّاء وضع الإصبع فيه، فلن تندهش كثيراً إذا عَلمتَ أنَّ آخر رجُلٍ يخرُجُ مِنَ النَّار ويدخُل الجنة، سيكونُ ملكه في الجنة مثل عشرة أمثال ملك الدنيا وما فيها، وبذلك صَحَّ الخبر عن الصادق الأمين - صلوات ربي وسلامه عليه - ففي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: (إنَّ آخرَ أهل النار خُرُوجاً منها وآخر أهل الجنة

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٥٨) ٤/٢١٩٣ صحيح ابن حبان (٦١٥٩) ١٤/٢٩.

دخولاً فيها يقول الله له: أذهب فادخل الجنة، فإنَّ لكَ مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إنَّ لكَ عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك) (قال الراوي): لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتىٰ بدت نواجزه، قال: فكان يُقالُ: ذاك أدنىٰ أهل الجنة منزلة)[1].

وإذا كنا نُشاهد ضيق اللَّحد، ونتخيّل ظُلمة القبر، ففي الحقيقة أن القبر يحملُ بين لَبِنَاته مِنَ الأسرار الشيء الكثير، فالمقبُور المرْجُو له من الله الخير يُفْسَحُ له في هذه الحُفْرة الضيقة مدَّ البصر، ويرىٰ مقعده من الجنة، وتَمرُّ عليه حياته البرزخية كصلاةِ ظُهرٍ أو كصلاةِ عصرٍ، فلوْ سألت ميتاً مات منذ آلاف السنين بعد بعثه: كم لبثت ؟ لأجاب: يوما أو بعض يوم.

فدنيا هذهِ حالُها، وفِرَاقٌ هذا شأنُه لا ينبغي أنْ يترك في نفس المسلم هلعاً مِنَ الموت، بل غاية ما يتركه دمعة حزن

---

(١) صحيح مسلم (١٨٦)١/ ١٧٣.

تحمل الرحمة وطلب المغفرة.

خوف الضيعة على الأطفال بعد الموت.

وقد يقول قائل: إني أخاف الموت لأنني أخاف الضيعة على أطفالي !!.

فنقول له: إنْ كنتَ تركت أطفالك لغير الله - تعالى - فلكَ أنْ تخاف عليهم، وإنْ كنتَ تركتهم على الله الواحد الأحد فالله - تعالى - يقول: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٩﴾ ﴾ [النساء: ٩]، فَكَمْ مِنْ يتيم تركه أبواه مُعْدَماً مُعوزاً فقيراً، فأصبح مِنْ أغنى الخلق، أو وجيهاً بين الناس، واقرأ إن شئت سورة الكهف لترى كيف أنَّ الرحمن الرحيم حَفظَ مال الغُلامين اليتيمين بعد وفاة أبويْهما رحمةً مِنْهُ وفضلاً.

الخوف من عقوبات المعاصي بعد الموت:

وقد يقول آخر: "إني أخاف ذنوبي" وحُقَّ لنا أن نخاف الذنوب والمعاصي خوْف السبع الضاري أو أشد، وهذا الخوف يستلزم أمرين:

الأول: المبادرة بالأوبة والرجعة إلى الله - تعالى - وأنْ يُوقِنَ العبد أنَّ الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب وإنْ عَظُمَتْ فيما خلا الشرك، والنصوص المتواترة من الكتاب والسنة لاَ تخفى على أحد، وكفاكَ أرجى آية في كتاب الله - تعالى - إذْ يقول: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾

[الزمر: ٥٣].

الثاني: إذا كانَ هذا الخوف هُوَ سَوْطُ الله الذي يُقَوِمُ بِهِ الشاردين عن بابِهِ، فإنَّه لا ينبغي للمُسلم أنْ يعتمد على الخوف فقط في طريق سيره إلى الله، وإلاَّ حَمَلَهُ ذلكَ إلى القُنوط منْ رحمة الله - تعالى - كما أنه لا ينبغي له أيضاً أن يعتمد على الرجاء فقط حتى يأمن مكر الله، بَلْ ينبغي له أنْ يجمعَ بين الخوف والرجاء ويُوازن بينهما كما قال - تعالى - عن أنبيائه الكرام - صلوات الله وسلامه عليهم -: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وهذا يحملنا إلى الكلام عن موضوع مهم وهو: الخوف من الخالق جلَّ وعلاَ.

❁ ❁ ❁

بين الخوف من الخالق والخوف من المخلوق

وجوب الخوف من الله عز وجل:

الخوف من الخالق من أجل مقامات الدين وأعظمها على الإطلاق، وهو من أنفع العبادات القلبية على العبد، لما يؤثر به علي سلوك المسلم في إعلاء همته وطرد خوف ما سوى الله من قلبه، وهو علامة على صحة الإيمان، قال ابن القيم رحمه الله: "وهو فرض على كل أحد" (١).

وقد أمر الله - تبارك وتعالى - في كتابه بصرف الخوف له وحده فقال: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة: ٤٠]، والآيات بهذا المعنى كثيرة جداً كلها تأمر المسلم بأن يُحرر نفسه من خوف المخلوقين ورهبتهم وصرف الخوف كله لله وحده، ففي جهاد

---

(١) مدراج السالكين ١/ ٥١١.

الكفار يقول تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة: ١٣]، وفي الدعوة إليه يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وفي أمر العقيدة والعبادة يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨].

وقد أخبر - سبحانه - أن الخوف الحاصل من غير الله والذي يصيب بعض عباده المؤمنين إنما مبعثه الشيطان - أخزاه الله - فقال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥]، قال ابن القيم - رحمه الله -: " ومن كيد عدو الله أنه يُخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا

يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله - تعالى - عنه بهذا فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]، والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: يعظمهم في صدوركم، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فكلما قوي إيمان العبد؛ زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه؛ قوي خوفه منهم"[(١)].

حقيقة الخوف:

وقد عَرَّفَ العلماء الخوف من الله: بأنَّه ما حال بين صاحبه وبين محارم الله. قال ابن القيم: (قال أبو حفص: الخوف سوط الله، يقوِّم به الشاردين عن بابه، وقال: الخوف سراج في القلب، به يُبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفت منه هربت منه، إلا الله - عز وجل - فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه، وقال أبو

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١١٩.

سليمان: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب، وقال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها، وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم ضلوا الطريق)(١).

درجات الخوف من الله:

والخوف من الله - عز وجل - له درجات ثلاث هي:

الأول: تقصير وإضاعة.

الثاني: إفراط وغلو.

الثالث: الاعتدال.

أما الأول: فهو خوف أغلب الخلق - إلا ما رحم الله - وهو خوف قاصر قليل النفع ضعيف الجدوى كالعصا المهترئة التي لا تسوق دابة ولا تقوِّم مُعوجاً، وقد حمل هذا النوع من الخوف الكثير من العباد إلى الولوغ في المحرمات، والاجتراء على ارتكاب الموبقات كالفواحش والزنا والربا

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١١٩.

أمناً من مكر الله وعقوبته، وقد وصف الله - تبارك وتعالىٰ - من كان هذا حالهم بأنهم هم الخاسرون فقال تعالىٰ: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٧ – ٩٩]، قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: «فإنَّ مَنْ أَمِنَ من عذاب الله، فإنَّهُ لم يُصَدِّق بالجزاء على الأعمال، ولا آمن بالرسل حقيقة الإيمان، وهذه الآية الكريمة، فيها من التخويف البليغ على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمناً على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفاً وجلاً أن يُبْتَلي ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعياً بقوله: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، وأن يعمل ويسعى في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبد ولو بلغت به الحال ما بلغت فليس على يقين من السلامة».

وحقيقةُ الأمر أنَّه ما كُذبت الرسل إلاَّ بهذا النوع من الخوف، قال تعالى يصف حال أولئك الآمنين لعقوبته

المكذبين لرسله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ ﴾ [الأعراف: ٩٤، ٩٥]، فانظر ماذا حدث لهم ؟ قال تعالىٰ مُكْملاً الآية بعدها مباشرة: (فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)، ثُم حذَّر الله - تبارك وتعالىٰ - في آخر الآيات من جاء من بعدهم أن يصنع مثل صنيعهم، ويأمن مثل أمنهم، فيصيبه ما أصابهم، فقال جلَّ ثناؤه: ﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٠].

فهذا النوع من الخوف نوع مذموم، وصاحبه علىٰ شفير خطر عظيم.

أمَّا النوع الثاني: وهو الإفراط والغلو فهو مذموم أيضاً، لأنَّ الخوف يجب أن يكون مقروناً بالرجاء والمحبة، حتىٰ لا يحمل صاحبه علىٰ اليأس والقنوط من - رحمة الله تعالىٰ - قال ابن القيم عن الخوف: "هو مع الرجاء كالجناحان للطائر،

متىٰ كُسِرَ أحدهما فقد تعرض لكل صائد وكاسر"، وقال الشيخ صالح الفوزان: "لا يجُوز للمؤمن أن يعتمد على الخوف فقط حتىٰ يقنط من رحمة الله، ولا على الرجاء فقط حتىٰ يأمن من عذاب الله، بل يكون خائفاً راجياً، يخاف ذنوبه، ويعمل بطاعة الله، ويرجو رحمته، كما قال تعالىٰ عن أنبيائه: ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧]، فالمؤمن يسير إلىٰ الله بين الخوف والرجاء".

أما النوع الثالث: وهو الاعتدال والموازنة بين الحب والخوف والرجاء، وهذا النوع عزيزٌ في الخلق، وهذا هو خوف المؤمن، قال بعض العلماء: " من عَبَدَ الله بالحُب وحده فهو صُوفي، ومن عَبَدَه بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مُرْجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن".

ومـوازنة القلب بيـن الخـوف والرجـاء يدفع إلىٰ العـمل الصـالح، والبعـد عن المعـاصي، والتوبة من الذنـوب، أمَّا إذا اختلَّ توازن القلب فمال إلىٰ جانب واحد، فإنَّ هذا مما يعطل حركة العـمل ويعرقل التوبة، ويوقع في الهلاك، وقـد استحب بعض السلف - رحمهم الله - للعبـد أن يُقَوِي جانب الخوف علىٰ الرجاء في حال الصحة والعافية، أمَّا في حال الخروج من الدنيا فيُقوي جانب الرجاء في الله علىٰ الخوف منه.

الخوف من المخلوق وعلاجه:

وخطورة هذا النوع من الخـوف أنه قـد يصل بالمـرء إلىٰ الشرك الأكبر - عياذاً بالله - كمـا هو الحاصل مع عُبَّاد القبور وهذا مـبسـوط في كتب التـوحيـد، أو الشرك المنافي لكـمال التوحيـد كمن يترك ما هو واجب عليه شرعـاً خوفاً من بعض الناس وهذا حرام، والأحـاديث الثابتـة عن النبي ﷺ تُحَذر المسلم من هذا، فـقـد ثبت عنه ﷺ قـوله وهو يُحـذر من هــذا:(لا يمنعنَّ رجـلاً هيبة الناس أن يقـول بِحَقٍ إذا عَلِمَهُ أو شـهده أو سمعه)[1]، وفي هذا الحديث: النهي المؤكد عن كتمان الحق

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني (١٦٨).

خوفاً من الناس.

وعنه ﷺ أنه قال: (لا يَحْقِر أحدكم نفسه) ! قالوا: يا رسول الله! كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال: (يَرىٰ أمراً لله عليه فيه مقال، ثُمَّ لا يقول فيه، فيقول الله - عز وجل - له يوم القيامة: ما منعك أن تقول فيَّ كذا وكذا ؟ فيقول: خشية الناس، فيقول الله - عز وجل -: فإيايّ كنت أحق أن تخشىٰ)(١).

ورویٰ البخاري في صحيحه من حديث عبادة بن الصامت قال:" بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول الحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم"(٢).

ولم يُؤْذَ أحدٌ كَماَ أُوذي رسول الله ﷺ في الله، فما منعه ذلك من الدعوة إلىٰ الله وبلاغ رسالة الله - عز وجل - كما

---

(١) سنن ابن ماجه رقم (٤٠٠٨) ٢/ ١٣٢٨.

(٢) صحيح البخاري رقم (٦٧٧٤) ٦/ ٢٦٣٣، والنسائي في السنن الكبرىٰ.

وصف - صلى الله عليه وسلم - ذلك فقال: (لقد أوذيت في الله وما يؤذي أحد، ولقد أُخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت عليَّ ثالثة ومالي ولبلال طعام نأكله ذو كبد إلا ما وارىٰ إبط بلال)[١].

غير أن المُلاحظ علىٰ بعض الناس أنه لم تمنعه خشية الناس من قول الحق فقط، ولكنه عَمَدَ إلىٰ إرضاء الناس بسخط الله - عياذاً بالله - فانقلب مادحه عليه ذاماً بعد حين، والظالم سيف الله في الأرض، ينتقم الله به، ثم ينتقم منه، فقد روي مرفوعاً وموقوفاً عن عائشة رضي الله عنها: (من التمس رِضَىٰ الله بِسَخَطِ الناس رضي الله عنه وأرضىٰ الناس عنه، ومن التمس رِضَا الناس بِسَخَطِ الله سَخِطَ الله عليه وأسخطَ عليه الناس)[٢]، وهذا لفظ المرفوع وفي رواية الترمذي: (من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضاء الناس بِسَخَط الله وَكَلَهُ الله إلىٰ النَّاس)، ولفظ الموقوف: (من يطلب أن يحمده

(١) السلسلة الصحيحة (٢٢٢٢).

(٢) صحيح ابن حبان رقم (٢٧٦) ١/ ٥١٠، والترمذي رقم (٢٤١٤) ٤/ ٦٠٩.

الناس بسخط الله يكن من يحمده من الناس ذاما)(١).

قال ابن القيم: " وهذا من أعظم الفقه في الدين، فإنَّ مَنْ أرضىَ الله بسخطهم، كان قد اتقاه، وكان عبده الصالح، والله يتولى الصالحين، والله كاف عبده والله يكفيه مؤونة الناس بلا ريب، وأمَّا كون الناس يرضون عنه، فقد لا يحصل ذلك، ولكن يرضون عنه إذا سَلِمُوا منَ الأغراض، وإذا تبين لهم العاقبة، ومَن أرضىَ النَّاس بسَخَط الله، لم يغنوا عنه من الله شيئا، كالظالم الذي يعض على يديه، وأما كون حامده ينقلب ذاماً، فهذا يقع كثيراً، ويحصل في العاقبة، فإن العاقبة للتقوى، ولا تحصل ابتداءً عند أهوائهم".

وهذا الكلام الساطع بنور النبوة من هذا الإمام يلحظه كثيرٌ ممن عاشر الناس وسبر أحوالهم وتفرس في طباعهم، ولقد اتفق لي أن رأيت في حياتي كثيراً ممن أغضب أناساً وهو في أمسّ الحاجة إليهم في شفاعة أو وجاهة، أو غير ذلك

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (رقم ٢٠٩٧٨، ١١/ ٤٥١).

من أنواع المعروف المتبادل بين الناس، أغضبهم طمعاً في رضا الله - تعالى - فغضبوا عليه ابتداءً، ثُمَّ رجعوا إليه بعد حين معتذرين، وأدنوه ووالوه؛ لأنه أغضبهم لله، فكفاه الله مؤونة الناس لكن هذا لا يتحقق إلا في النذر اليسير من الناس ممن عظمت خشية الله في قلبه، يقول الشيخ صالح الفوزان: " أنَّ الإنسان إذا كان يطلب بعمله إرضاء الله بما يسخط الناس، يحصل على مصلحتين عظيمتين: رضا الله تعالى، ورضا الناس، ومن كان بالعكس يطلب بعمله إرضاء الناس بما يسخط الله - عز وجل - يحصل له مضرتان: سَخَط الله، وسخط الناس، فدلَّ على أن إرضاء الله - تعالى - يجمع الخير كله، وأن إرضاء الناس بما يسخط الله يجمع الشر كله، نسأل الله العافية والسلامة [1].

والحاصل أنه ليس هناك علاجٌ أنجع للقلب لسلِّ خوف المخلوقين منه؛ من تقوية جانب الخوف من الخالق جلَّ وعلا.

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد، فضيلة الشيخ صالح الفوزان (٧٩).

الخاتمة
انتقل من الضعف إلى القوة

يتضح لنا مما سبق أن مسألة الخوف مسألة نفسية، فقد تكون نتيجة ترسبات تربوية متراكمة منذ الصغر، وقد تكون عن طريق هواجس مرعبة مقلقه نتيجة التطور التكنولوجي الذي صار يتدخل في كل مفصل من مفاصل الحياة اليومية، وما يعصف ببعض الشعوب والأمم من تجويع وتشريد، أو نتيجة الأمراض الفتاكة التي ظلت عصية على الطب وعقاقيره المتطورة، إضافة إلى حوادث طبيعية وغير طبيعية تذهب ضحيتها أعداد لا يستهان بها من بني البشر، كما يجب أن لا ننسى ما تبتكره بعض الأنظمة الحاكمة الظالمة من أساليب الردع والتعذيب والتصفية الجسدية ضد مخالفيها.

ومهما يكن من سبب فإن حاجة الإنسان إلى الأمن هي من أهم متطلباته ليحيا حياة حرة كريمة، ولن يكون ذلك إلى في ظلال دوحة الإسلام الخالدة، ففي ظل الإسلام يتعامل المرء مع بواعث الخوف من موقف القوة (الاختيار - الطاقة - النشاط) لا من موقف الضعف (العجز - الإكتئاب - اليأس).

وبالتالي يجب أن نستنتج أن الخوف ليس هو المشكلة. لكن المشكلة تتصل بالطريقة التي نتعامل بها مع الخوف. فالبعض يعتبره غير هام على الإطلاق ولا يعنيهم في شيء. أما البعض الآخر، فإن الخوف يصيبه بحالة من الشلل.

ومن هنا يتبين لك أن السر في التغلب علي الخوف هو أن تنقل نفسك من موقف الضعف إلي موقف القوة، ففي طريق القوة تجد السعادة وتجد الطمأنينة وتجد الرضا، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف.

وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
خليل بن إبراهيم أمين
المملكة العربية السعودية
ص.ب ٣٨٠٩٨٠ الرياض ١١٣٤٥
KAAA5 @ hotmail. com

الفهرس

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

☆☆ ☆ ☆☆